الامانة العامة
للعتبة الحسينية المقدسة
مهرجان تراتيل سجادية التاسع

خطوات روح كادحة

وقفات تأملية في بعض الادعية السجادية

فاطمة نعيم الركابي

دار الوارث للطباعة والنشر

عنوان الكتاب : خطوات روح كادحة وقفات تأملية في بعض الادعية السجادية

اعـــــــــداد : فاطمة نعيم الركابي

النـــــــــاشر : الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة – مهرجان تراتيل سجادية التاسع

المطبعـــــــــة : دار الوارث للطباعة والنشر

الاخـــراج الفني : محمد العامري

الطباعـــــــــة : الاولى

سنة النشـــــــر : ٢٠٢٣م – ١٤٤٥هـ

عدد الصفحات : ١٥٦

محفوظة جميع الحقوق

دار الوارث للطباعة والنشر
DARALWARITH Printing & Publishing

العراق - كربلاء المقدسة
المكتب الرئيسي، سيف سعد خلف المخازن الغذائية
٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٤ - ٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٣

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق (٧٧٨) ببغداد لسنة ٢٠٢٣

978-9922-700-19-9

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما عرّفنا من نفسه، وألهمنا من شكرِه، وفتح لنا أبوابَ العلم بربوبيّته، ودلّنا عليه من الإخلاص له في توحيدِه.

وصلِّ اللهمّ عليه خير بريّته، وسيّد رسلِه محمّد، وعلى آلِه خزائن علمه، وحفَظَةِ سرّه.

وبعدُ...

فإنّ من السُّنن الاجتماعيّة، والخواصّ الإنسانيّة التي تلازم البشريّة هي الاختلاف في العقائد والأفكار، والتصرّفات، والاختلاف في وجهات النّظَر، والتعارُض في المصالح بين بني البشر، وهذا أمرٌ طبيعيّ كاختلافِهم في الجِنس، واللون، واللُغة.

وهذا الاختلاف بيّنهُ الخالق جلّ وعلا في سورة هود الآية (١١٨-١١٩)؛ إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ...﴾ وهذا الاختلافُ مدعاةٌ للتّعارُف، والتّعاون، والتبادل المعرفيّ، والفكريّ بين أبناء البشر؛ إذ جاء في قولِه تعالى سورة الحُجرات آية (١٣): ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟...﴾ لذا فجميع الأنبياء، والرسُل، والأوصياء ومن تبِعَهم بإحسانٍ كانوا يضعون القوانين، والضّوابط، والتّكامل في منظومةِ الحياة بين بني البَشر، وردم الفَجوات، وحلّ النِّزاعات، وتأسيس قاعدة شرعيّة، وعُرفيّة لضبط الإيقاع في مختلف أمور الحياة.

فكانتْ (رسالةُ الحقوق) للإمام السجّاد عليه السلام، و(الصحيفة السجّاديّة)، و(المناجاة الخمسة عشر)، وهذا النَّتاج الكبيرُ، والواسعُ، والشّاملُ للإمام زين العابدين عليّ بن الحُسين بن عليّ بن أبي طالبٍ(عليهم السّلام).

وكان من الواجب أن تتكفّل بهذا النّتاج جهةٌ رصينةٌ ذاتُ سُمعةٍ عالميّة معتدّ بها لتسليط الضّوءَ على هذه الأعمال، وترجمتها إلى اللُغات المختلفة، ونشرها لتعمّ الفائدة على أبناء الإنسانيّة.

فتصدّتِ الأمانةُ العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة لهذا المشروع المترامي الأطراف في العلم والمعرفة؛ ولتُعلنَ عن إقامة مهرجان تراتيل سجّاديّة منذ عام (٢٠١٤م) إلى يومنا هذا، وقد تكفّلنا بهِ سُعداءَ فرحينَ طلبًا للشّفاعة، وقبول الأعمال، وكانت من ضمن فقرات هذا المهرجان هو التّشجيع على الكتابة عن الإمام السجّاد عليه السلام ، وإرثه العلميّ، والعقائديّ، والإنسانيّ.

الحمد لله ربّ العالمين من خلال هذا التوجّه، وبعد هذه السّنوات تمكّنَّا من طباعة أكثر من(٧٠ مؤلّفًا).

وهذا العام تراتيل سجادية بنُسخته التّاسعة، الذي سيُقام في العتبة الحسينيّة المقدّسة ، في ذكرى استشهاد الإمام زين العابدين عليه السلام في شهر آب ٢٠٢٣م الموافق ٢٥ محرّم الحرام ١٤٤٥هـ ، نضعُ بين أيديكم هذا المؤلّفَ الجديدَ بنُسختِه ليضافَ إلى مكتبة الإمام السجّاد عليه السلام .

ومن الله التوفيق ...

السيد جمال الدين الشهرستاني

رئيس اللجنة التحضيرية لمهرجان تراتيل سجادية

الإهداء

الى من بتوفيقه نمدُ بالإلهام والفهم
الى صاحب أمرنا الحجة أبن الحسن القائم
الى الشهيد القائد الشيخ مشتاق الزيدي المقدام

مُقَدِّمَة

لماذا خطوات روح كادحة...؟

ببساطة لأنه العنوان الاقرب لكل من يفكر في خوض تجربة الجلوس بين يدي كلام ظاهره حروف وسطور، باطنه كُله نور، كيف لا! وهو قد صدر ممن هو من أهل بيت تجلى فيهم كل نور صلوات الله عليهم اجمعين.

نعم... ليس سهلاً أن ينال الواحد منا هذا التوفيق، وفي ذات الوقت ليس صعباً لمن شغلته نفسه، بأسرارها الخفية، مرادها، هواها، ميولها، شهواتها، ورغباتها،

فسِر سُهولة خوض الصعوبات هو أن تأتي إليها باحثاً عن المجهولات، تأتي إليها فارغ تريد الامتلاء، تأتي اليها حائر لتعود مسترشداً، تأتي اليها بلا عزم وارادة لتعود قوي صلب الارادة، بل حتى عندما تكون سعيداً ومنشرح الصدر تأتيها إليها لتعرف كيف تكون عبداً حامداً شكوراً.

نعم إنها غريزة حب الاطلاع، والاستكشاف، حب المعرفة والاهم من ذلك الافتقار ثم الافتقار ثم الافتقار الى من هم سُبل الهداية والرشاد ...

فهذه الروح خُلقتْ بأصل كله خير ونور ونحن بهذه الرحلة نلوثها، ونَسلخها عن فطرتها شيئاً فشيئاً، ولكنها بلطف الله تعالى تعود وتخطو نحو مواطن الهدى وينابيع النور لتَروي ظمأها وتجلي ظلماتها، تعود لتَسْكن بذكر ربها، أ ليست هي نفخة من روحه عز وجل؟

وهكـذا تسـير وتخطـوا وتسـتمر في رحلتهـا، بيـن ظمـئ وارتـواء، بيـن ظلمـة وضيـاء، فهـذه هـي رحلـة الكـدح، فلسـنا بمعصوميـن ولكننـا لسـنا عصـاة ايضـاً الا الدرجـة التـي تكـون خاتمتنـا هـي غضـب رب السـماء، او الخلـود في الشـقاء.

فواحـدة مـن خطـوات الأمـل أننـا علـى خيـرٍ والـى خيـرٍ هـي كـدح هـذه الـروح رغـم كل متاهـات ومزالـق الطريـق، هـي المكـوث طويـلاً عنـد ابـواب النـور لتكـون خطـوات رحلـة كدحنـا مكللـة بإشـعاعات أهـل النـور.

إذ إن أبـرز مـا يُستشـف مـن ادعيـة الإمـام السـجاد (عليه السلام) وفي صحيفتـه بشـكل خـاص هـي أن كلمـات الإمـام تنظـف لنـا نظرتنـا تجـاه أنفسـنا والحيـاة لتملأهـا بالأمـل الممـزوج بالعمـل وبالحيـاة المتزيـن بالحيـاء، فهـي تجعـل هـذه النفـس تترقـى في رغباتهـا وطموحاتهـا، تتعالـى عـن أهوائهـا الميالـة الـى حـب الدنيـا والتعلـق في زينتهـا.

ختامـا: نسـأل الله تعالـى أن نوفـق للوقـوف بأرواحنـا قبـل أبداننـا، وبقلوبنـا قبـل أقلامنـا علـى اعتـاب هـذه الصحيفـة كـي نـرى بهـا انفسـنا ونأمـن سـلامة وصحـة سـيرنا وخطواتنـا، إنـه سـميع مجيـب...

فاطمة

٣ جمادى الأخرى ١٤٤٤

الفصل الأول

دعاؤه (عليه السلام) إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله عز وجل والثناء عليه

مقدمة: كيف نجعل من الحمد والثناء بوابة للارتقاء

مما ورد إن من أدب الدعاء أن نبدأه بالحمد لله تعالى والثناء عليه، كما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام):» إذا طلب أحدكم الحاجة فَلْيُثْنِ على ربه وليمدحه»[١]، فالدعاء نوع من الطلب، والإنسان بطبيعة الحال لا يطلب الا ما يشعر إنه محتاج اليه أو ينقصه.

لذا فأن تبدأ بشكر وحمد الله تعالى والثناء عليه دليل على عدم الجحود لما أعطاك من أرزاق كثيرة، وأَنْعُم لم تطلبها وقد جرى منه إليك بها العطاء، وفيها إظهار لطمع من العبد لبلوغ عطاء أكثر ورجاءً للمزيد، لا الشكاية من وجود نقص في عطاءه سبحانه وتعالى، إذ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «من تشاغل بالثناء على الله، أعطاه الله فوق رغبة السائلين»[٢]، و-كما قيل -إن إظهار الحمد وإبداء الثناء كاشف عن وجود روح إيجابية يحملها ذلك الداعي لا سلبية تجاه نظرته لربه وحسن ظنه بتدبيره ومقاديره تجاهه كعبد.

فكيف إذا كان محور الدعاء ومضامينه هي لأجل الحمد والثناء كما هذا الدعاء الذي هو الدعاء الأول في الصحيفة المنسوبة للإمام السجاد(عليه السلام)[٣]، فهذا كاشف إن الحمد والثناء هو بحد ذاته طلب يروم الداعي لوصله، وعطاء

١- الكافي: ج٢، ص٣٥٢ ، ح٦.
٢- الدعاء حقيقته، آدابه، آثاره - مركز الرسالة: ص ٢٧.
٣- الصحيفة السجادية: ص(١٩-٢٥).

يسعى العبد لتحقيقه في وجوده.

وكما إن للذكر مصاديق وأشكال متعددة واحد منها هو الدعاء، كما جاء عن أمير المؤمنين بقوله(عليه السلام): «الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره، وسبباً للمزيد من فضله»[١].

وهنا الإمام السجاد(عليه السلام) لا يعطينا دعاء لأجل أن نلهج به، ولكي نكون من الذاكرين لله تعالى فقط، بل يفتح أمامنا باب معرفياً لنعرف حقيقة الحمد، وحجم ارتباطه بحياتنا والأثر الكبير حتى على ارتقائنا الروحي في الدنيا، ورفع درجاتنا ومقامنا في الأخرة -كما سيأتي-، وهذا أمر ملفت للانتباه، جدير بالالتفات إليه.

إذ جاء في أوله:

[الْحَمْدُ لِلهِ الْأَوَّلِ بِلَا أَوَّلٍ كَانَ قَبْلَهُ، والْآخِرِ بِلَا آخِرٍ... بْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ ابْتِدَاعاً... ثُمَّ سَلَكَ بِهِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِهِ، وبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِهِ، لَا يَمْلِكُونَ تَأْخِيراً عَمَّا قَدَّمَهُمْ إِلَيْهِ، ولَا يَسْتَطِيعُونَ تَقَدُّماً إِلَى مَا أَخَّرَهُمْ عَنْهُ. وجَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ مِنْهُمْ قُوتاً مَعْلُوماً مَقْسُوماً مِنْ رِزْقِهِ، لَا يَنْقُصُ مَنْ زَادَهُ نَاقِصٌ، ولَا يَزِيدُ مَنْ نَقَصَ مِنْهُمْ زَائِدٌ].

عند التأمّل في مضامين هذه العبارات والتي تليها من هذا الدعاء العظيم نجد أنَّ هناك آثاراً مُتنوِّعةً ودقيقةً ومهمةً جداً لكُلِّ واحدٍ منّا؛ سنتطرّق إلى ثلاثة منها يُحقِّقُها الحمد متى ما صدرَ من العبد لربه.

١- نهج البلاغة خطب الإمام علي (ع): ج ٢، ص ٥١.

الأثر الأول: مقياس لوصولنا لمرتبة الإنسانية

إن الإنسان بفطرته أن أَنعم عليه أحد او قضى له حاجة أو دفع عنه صعوبة أو فرج عنه همـاً هو سيثني عليه ويحمده عند كل من يراه أو من يأتي بذكره. وإن لم يكن يعرف من أسدى له معروفـاً سيبحث عنه حتى يَجده ليشكره، ويجازيه.

ولهذا الإمام السجاد(عليه السلام) يذكر إن الحمد أمر تعالى غرسه بفطرة الإنسان بقوله:

[وَالْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبَادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ عَلَى مَا أَبْلَاهُمْ مِنْ مِنَنِهِ الْمُتَتَابِعَةِ، وأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ، لَتَصَرَّفُوا فِي مِنَنِهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ، وتَوَسَّعُوا فِي رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ]

لذا الإنسان السوي هو لا يترك التحميد لله تعالى، سواء على ما غرسه فيه من أمر ممدوح، أو لكي يزداد بهذا الشكر حمداً وإدراكاً لنعمائه كلها.

لهذا يُبين الإمام(عليه السلام) إن انعدام وجود هذه السجية في الفرد لهو مؤشر لخلل في إنسانيته، وذلك بقوله:

[ولَوْ كَانُوا كَذَلِكَ -اي ليسوا من أهل الحمد والشكر- لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى حَدِّ الْبَهِيمِيَّةِ فَكَانُوا كَمَا وَصَفَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾].

فالأَنْعَام أرزاقها محدودة وبَينة، لذا رُفع عنها الحمد، ولكن الإنسان الذي هو خليفة الله في أرضه وكونه خُص بأن تكون كل الموجودات مُسخَرة إليه، فهو من نعمة الى أخرى، ومن رزق الى رزق أوسع- كلاً ومِقدار كدحه وسعيه في

ما استخلف عليه- وحده من يعيش معاش الأنعام همه الطعام والمنام هو من ضل سبيل الرشاد، ولم يرى بوجوده شيء يستحق أن يُحمد ويُشكر.

وهذا صنف من الناس قد ذُكر في القرآن الكريم بآيات عديدة منها، قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (يونس :١٢)، فهو ممن يتذكر المنعم ويطلب منه وهو بلا شك لما يدعوا يحمده ويثني عليه كي يكشف ضره، ولكن ما أن يرفع عنه الضر ويعطى النِعم لا يجري على لسانه الحمد، ولا يكون من أهل التوازن والاتزان العملي بل من أهل الإسراف والتضييع لحق المنعم عليه.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(الزمر :٤٩)، وهنا هذا الصنف هو لا يثني ولا يَذكر المُنعم ولا يؤدي حق حمده ولا ينسب النعمة اليه إنما ينسبها الى نفسه، وهذا صنف مفتتن ولم ينجح في اختبار العطاء، وإن نجح في اختبار حقيقة الانتساب عند المنع.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾(الزمر :٨)، وهذا صنف أخر هو ممن لم يجحد فقط أو ينسب تغير حاله لذاته بل يعيش حالة النسيان، السابقان قد يكونا في قرارة نفسيهما إنهما متذكران للمنعم لكن لا يظهرا ذلك باللسان او

بالعمل، لكن هذا الصنف هو الأخطر، إذ أن نسيانه جعله ممن ينسب تغير حاله ونواله لما كان يطلب الى أنداد الله تعالى، وهذا جحود أعظم، ومصيره الهلاك محتم كما تصف الآية.

لذا مسألة التأدب بهذا الأدب أثناء الدعاء، بالحمد والثناء قبل وبعد الدعاء موجب للحفاظ على فطرت الداعي الموحدة وسلوكه الإنساني تجاه استشعار فضل وكرم المُنعم (عز وجل).

الأثر الثاني: دوره في سيرنا ومسيرتنا الى الله تعالى

قلنا إن الحمد هو تارة يكون من خلال التبيان اللفظي، وتارة يكون من خلال السلوك العملي، إذ عبر عنهما الإمام بالفقرات التالية: [...، **لَتَصَرَّفُوا فِي مِنَنِهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ، وتَوَسَّعُوا فِي رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ**]، فالتصرف يكون باستعمال النعم وحمد الله تعالى على وجودها بين أيديهم، أما الشكر فقد ذكر مع التوسع، لأن الشكر مرتبط اولاً بالازدياد، كما قال تعالى: ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ (ابراهيم: ٧)، وثانياً مرتبط باستثمار تلك النعم، كما قال تعالى: ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ (سبأ :١٣)، بذلك العمل الموجب لتوسع آثار تلك الأرزاق وما ترتبه من منفعة له ولغيره، والملفت إن الآية أشارت الى حقيقة إن القلة من يصل لهذا المستوى من الحمد العملي للنعم.

ومن الموارد التي ذكرها الإمام السجاد(عليه السلام) -كما يبدوا- لتحقيق هذا

الجانب من الحمد في هذه الفقرات [**حَمْداً لَا مُنْتَهَى لِحَدِّهِ، ولَا حِسَابَ لِعَدَدِهِ، ولَا مَبْلَغَ لِغَايَتِهِ، ولَا انْقِطَاعَ لِأَمَدِهِ**]، فبه يصل العبد لحقيقة الطاعة فيما أوجب عليه من واجبات والانتهاء عما نهاه عنها من جنايات، ولأنه عبد غير معصوم فبحمده يُغفر ويُمحى كل ما يُحدثه أثناء مسيره الذي يكدح بها لبلوغ جنان الرحمن، بل وسبباً لبلوغ الرضوان، وذلك بقوله:

[**حَمْداً يَكُونُ وُصْلَةً إِلَى طَاعَتِهِ وعَفْوِهِ، وسَبَبًا إِلَى رِضْوَانِهِ، وذَرِيعَةً إِلَى مَغْفِرَتِهِ، وطَرِيقًا إِلَى جَنَّتِهِ**].

ومن بحمده تفتح له هذه النوافذ، بلا شك ستغلق عنه نوافذ العذاب وأبواب النيران تلك التي تفتح إن عمل بالنعم بما يخرجه عن حدود الطاعة الواجبة لربه، لذا عبر الإمام بقوله(عليه السلام):

[**وخَفِيراً مِنْ نَقِمَتِهِ، وأَمْنًا مِنْ غَضَبِهِ**]

أي يكون الحمد بمثابة الحارس الذي يبعد عنه النقمة ويهبه الأمان من المقتدر الجبار.

ثم عاد الدعاء لذكر الطاعة بقوله(عليه السلام):

[**وظَهِيراً عَلَى طَاعَتِهِ**]

في الفقرة السابقة نلاحظ التعبير كان بمفردة [**وُصْلَةً إِلَى طَاعَتِهِ**] -فكما يبدوا- الداعي بحمده بتلك المرتبة يريد الوصول الى مقام العبد المطيع.

اما هنا الظهير يعني أن حمده هنا سيوصله الى مرحلة أن يكون له الحمد سنداً كي يواصل ما بلغه من فعل الطاعة.

ثم قال الإمام(عليه السلام):

[وحَاجِزاً عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وعَوْنـًا عَلَى تَأْدِيَةِ حَقِّهِ ووَظَائِفِهِ]

بالنتيجة مواصلة الطاعة تجعل بين الإنسان والمعصية حاجز فهو يسير بطريق النور، لذا هو لن يلتفت لطريق الظلام، بل وسيكون مشغول حتى عن الالتفات او النظر اليه، وفي ذلك تحصل المعونة الأعظم لتكون النفس في مسيرها كما يجب، ومؤدية لحق ربها كما ينبغي.

وبقوله:

[حَمْداً نَسْعَدُ بِهِ فِي السُّعَدَاءِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، ونَصِيرُ بِهِ فِي نَظْمِ الشُّهَدَاءِ بِسُيُوفِ أَعْدَائِهِ، إِنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيدٌ]

ولأن الله تعالى حميد وهو صاحب الولاية التامة على كل الخلق، لذا هو يكرم عبده الحامد فيجعله محمود في دنياه فيعطيه من أسمه الولي فيصبح وليـًا من اوليائه السعداء الذين لا خوفـًا عليهم ولا هم يحزنون، ويغدوا في عِداد الشهداء فيختم حياته قتلاً بسيوف الأعداء.

فأي تأثير هذا للحمد؟ وكم واقعـًا قليلاً ما نلحظ أهميته وجوده ودوره المؤثر في كل خطوة من خطواتنا في هذه الحياة وفيما بعدها.

الأثر الثالث: الجزاء ورفع المقام والدرجات في الاخرة

إن مجرد قراءة عبارات هذا الدعاء، لجدير بأن تبقي قارئها مُنشد ومذهول لما يراه من آثار مترتبة على من يكون من أهل الحمد لله تعالى، ففي هذه

الفقرات نرى الآثار المترتبة في كل مرحلة من المراحل التي سنمر بها بعد انتقالنا من عالم الدنيا الى عالم الاخرة، اذ قال الإمام(عليه السلام):

[حَمْداً يُضِيءُ لَنَا بِهِ ظُلُمَاتِ الْبَرْزَخِ] ففي ظلمات البرزخ يكون الحمد لنا نوراً.

وقال(عليه السلام): [ويُسَهِّلُ عَلَيْنَا بِهِ سَبِيلَ الْمَبْعَثِ] فلما يخرج الناس من قبورهم ليقفوا بين يدي ربهم، فهذا الأمر العسير من سُبل تيسير وحشته هو الحمد، كما يعبر الإمام الرضا (عليه السلام) بقوله: «إنَّ أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن -الى أن قال-... ويوم يبعث فيرى أحكاماً لم يرها في دار الدنيا، وقد سلّم الله عزّ وجلّ على يحيى في هذه الثلاثة المواطن، وآمن روعته فقال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾(مريم:١٥)...»الى أخر الرواية[١].

فمن أجلى صفات نبي الله يحيى(عليه السلام) هي في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى... إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾(الأنبياء :٩٠)، فالدعاء في كل الأحوال والمسارعة في عمل الخير من مصاديق الحمد القولي والعملي الموجب لتحقق هذا الآثر وهو أن يَسلم صاحبه من عسر المحشر ووحشته.

وقال(عليه السلام): [ويُشَرِّفُ بِهِ مَنَازِلَنَا عِنْدَ مَوَاقِفِ الْأَشْهَادِ، يَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وهُمْ لَا يُظْلَمُونَ، يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا ولَا هُمْ يُنْصَرُونَ]،

١- بحار الأنوار: ج ٦، ص ١٥٨.

إذ قيل في الأشهاد «إنهم جمع شاهد، وهم الذين يشهدون بالحقّ للمؤمنين على المبطلين والكافرين يوم القيامة، وفي ذلك سرور للمُحقّ وفضيحة للمبطل»[١]، فالأشهاد أربعة: «الملائكة، الأنبياء، أمّة محمد (ﷺ)، الجوارح»[٢]. بالنتيجة الإمام(عليه السلام) يشير لأثر أخر عظيم للحمد -لو إن الإنسان التفت اليه فإنه سيكون ذو منزلة وشرف أمام هؤلاء الاشهاد- هو إن الله تعالى يشمله بستره ويظهر عنه لهم كل جميل.

ثم تأتي هذه الفقرة التي أقل ما نصفها بها إنها مفصلية، إذ تنقل بها الإنسان الحامد الى حال ليس حال الطالبين للعتق من النار أو الدخول للجنة فقط، اذ تقول: [**حَمْداً يَرْتَفِعُ مِنَّا إِلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ فِي كِتَابٍ مَرْقُومٍ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ**].

هنا الإمام(عليه السلام) لا يقول بهذا الحمد نحن-الحامدين- نرتفع الى أعلى عليين، بل يقول: الحمد هو الذي يرتفع منا الى ذلك المقام -فكما يبدوا- إن في ذلك إشارة الى أن الحمد هو بحد ذاته شيء عظيم وله مقام وموقع في ذلك العالم حتى يشهده المقربون هذا من جانب.

ومن جانب أخر فيه إشارة الى الدرجة التي ارتقى بها هذا العبد بحمده السابق حتى أصبح ممن يُرتقى به. وهذا الحمد المرتفع هو ايضاً جزءً من ذاته ووجوده، وهو فعله وعمله، فكأن أحدهما سبباً لترقية الأخر، حتى يكون الحمد والحامد في مقام الرفعة الى أن يكونوا في محضر المقربين.

١- مقال الآثار الأخروية للذنوب، شبكة المعارف الاسلامية.
٢- تحف العقول: ص ٢٠، نقلاً عن شبكة المعارف الاسلامية.

ولهذا سنرى أن الاثار التي يذكرها الإمام(عليه السلام) للحامد مختلفة عما سبقتها في الفقرات التي تقدمت، أولها قرة العيون وذلك بقوله: [**حَمْداً تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا إِذَا بَرِقَتِ الْأَبْصَارُ**][١]، وابيضاض الوجه بقوله: [**وتَبْيَضُّ بِهِ وُجُوهُنَا إِذَا اسْوَدَّتِ الْأَبْشَارُ**][٢].

وبلوغ العتق ليس لخلود في الجنة بل لجوار الرحمن، حيث منزل الملائكة ومحل الأنبياء، وذلك بقوله(عليه السلام): [**حَمْداً نُعْتَقُ بِهِ مِنْ أَلِيمِ نَارِ اللهِ إِلَى كَرِيمِ جِوَارِ اللهِ. حَمْداً نُزَاحِمُ بِهِ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ، ونُضَامُّ بِهِ أَنْبِيَاءَهُ الْمُرْسَلِينَ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ الَّتِي لَا تَزُولُ ، ومَحَلِّ كَرَامَتِهِ الَّتِي لَا تَحُولُ**][٣].

فهنيئا لمن عرف واغتنم، وجعل من الحمد حقيقة يتعايش معها، ويتحفز بها، ويتنبه بها في رحلته الحياتية هذه لينال شيء من آثاره وبركاته وأنواره.

في دعائه (عليه السلام) لمن احزنه أمر وهمته الخطايا

مقدمة: كيف نعالج الحزن؟

نجد إن الإمام(عليه السلام) في هذا الدعاء[٤] ينقل الداعي من حال الى حال أخر تمامًا، ومن هَم داني الى هموم عليا، ومن غايات بسيطة الى غايات عظيمة.

فهذا الدعاء يُعرفنا على إمكانية أن يكون الحزن على أمر ما، هو المنطلق للسير

١- الصحيفة السجادية: ص(٢٤-٢٥).

٢- نفس المصدر.

٣- نفس المصدر.

٤- الصحيفة السجادية: ص(٩٦-١٠٠).

الى الكمالات، وطلب رفيع الدرجات وبلوغ القربات، ومقارنة أهل الطاعات.

إنه دعاء يحتاج أن يكون الداعي ذو وميض نور -كما عبر إنه ممن (أهمته الخطايا) - ويتطلب مسعى حقيقي منه حتى يستثمر ما فيه من كنوز معرفية، وحركة قلبية جادة في بحثه لتغيير نظرته لوجوده ولما يعيشه، وما ينبغي عليه أن يعيشه ويحصل ويكون عليه، وهنا ستكون لنا عدة وقفات تأملية بمضامين هذا الدعاء الشريف:

الوقفة الأولى: لماذا ذُكر الخوف مع أن الدعاء لعلاج الحزن؟

لو تأملنا في أول فقرات الدعاء التي نقول فيها: [**اللّهُمَّ يا كافِيَ الفَرْدِ الضَّعيفِ، وَواقِيَ الأمْرِ المَخُوفِ، أفْرَدَتْني الخَطايا فَلا صاحِبَ مَعي، وَضَعُفْتُ عنْ غَضَبِكَ فَلا مُؤَيِّدَ لي، وَأشْرَفْتُ عَلى خَوْفِ لِقآئكَ فَلا مُسَكِّنَ لِرَوْعَتي، وَمَنْ يُؤْمِنُني مِنْكَ وَأنْتَ أخَفْتَني**][1]، مع دواعي العبد المُقبل على مولاه (عز وجل) بهذا الدعاء إنه يشكو من الخوف في مفردات عدة ذُكرت، مع أن الدعاء هو لمن أحزنه أمراً؟!

هنا -كما يبدوا- إن جواب هذا التساؤل هو ما ذُكر في أواخر الدعاء وهو طلب مرافقة وحب أولياء الله تعالى، بقولنا: [**وَهَبْ لِيَ الأُنْسَ بِكَ وَبِأوْلِيآئكَ**]، وفي فقرة اخرى: [**وَاجْعَلْني لَهُمْ قَرينـًا**]، أولئك الذين تصفهم آيات الذكر الحكيم بقوله تعالى: ﴿**أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾

١- الصحيفة السجادية: ص(٩٦-١٠٠).

(يونس:٦٢).

والآية ذكرت مفردتي الخوف والحزن ولكن بصيغتين- إن صح التعبير- فقد ذكرت أن الخوف هو عليهم أي أنه صادر وواقع عليهم من مصدر خارجي، بينما الحزن فعبرت عنه أنه فعل ذاتي صادر من نفس الإنسان.

والآية نفت كلا الأمرين عن أولياء الله تعالى، أي أنهم لا يرتكبون ما يجعلهم يحزنون، أو هم لا يحزنون على أمور موجبة ليصيبهم الخوف- وهنا نقصد به الخوف الصادر من الله تعالى الذي عبر عنه الإمام بالدعاء (**وَأَنْتَ أَخَفْتَنِي**) - كما إن الآية قدمت الخوف على الحزن، فمن لا يوقع نفسه بحزن الخطايا لن يصيبه الخوف من أثارها.

بالنتيجة يمكن أن نفهم ارتباط الخوف بالحزن، وكأن في ذلك إشارة إن الله تعالى يعالج أحزاننا على أمور الدنيا وأحزاننا التي نسببها لأنفسنا بسبب الخطايا أو التعلق بأشياء فانية بالخوف، وهكذا أولياء الله لا يحزنهم الله تعالى لأنهم ليسوا من أهل الهلع والجزع والخوف على أمور الدنيا أو منها، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى نفهم علة من علل طلبنا للكون مع أولياء الله تعالى، إذ بمرافقتهم يمكننا التحلي بالصفات التي يحملونها، أي سيشمل الموافق والمحب بهذه الآية، فيرفع عنه الخوف، فلا يكون من أهل الحزن الداني.

وهنا نذكر شاهد قرآني أخر هو قوله تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ ...**﴾ (البقرة: ١٥٥)، يمكن أيضاً من خلالها أن نفهم لمَ ذكر الخوف لعلاج الحزن؟

إذ إن الخوف يجعل قلب الإنسان ملتفت أكثر ليبصر عما هو حزين، ولم هو حزين؟ فمن الخوف يبدأ الإنسان باليقظة بعد الغفلة.

كما إن شعور الخوف يطاق؛ فالإنسان قد يحزن لكن عجلة حياته تبقى متحركة، هو يتألم لكن لا يوجب ذلك إنه يتأمل بأحواله، لكن الخوف يُقعد الإنسان، ويفقده القدرة على الحراك.

ومن هنا يكون الخوف سبب لكل منطلق لتبديل الحال، والتحلي بصفات أهل الخير، وهو المقصد من أن يخيفنا الله تعالى تلطفاً ورحمةً بنا فهو اللطيف الخبير.

الوقفة الثانية: علامات الخوف الشافي لأحزان العبد وخطاياه

الإمام السجاد(عليه السلام) في هذا الدعاء[١] يعبر عن مصدر الخوف الذي يصيب الإنسان إنما هو الله تعالى، بقوله: [وَأَنْتَ أَخَفْتَني]، ويبين علامات هذا الخوف:

العلامة الأولى: الشعور بالوحدة والفردية بقولنا [أَفْرَدَتْني الخَطايا فَلا صاحِبَ مَعي]، أي لا يستأنس بأحد ولا يعيش حالة إنه فرد اجتماعي بل يعيش حالة العزلة وإن كان محاط بالناس، فمن يعيش هذا الشعور فليعلم أن الخطايا هي السبب، وسبيل النجاة من ذلك تفعيل إسم الله الكافي الذي نفتتح به الدعاء، بقولنا: [**اللّهُمَّ يا كافِيَ الفَرْدِ الضَّعيفِ**]، إذ الاكتفاء بالله تعالى يعالج شعور الوحدة والغربة، ويجعله ملتفت لضعفه، وحقيقة إنه قوي بربه.

١- الصحيفة السجادية: ص(٩٦-١٠٠).

العلامة الثانية: الشعور بالضعف، وذلك في عبارة [**وَضَعُفْتُ عنْ غَضَبِكَ فَلا مُؤَيِّدَ لي**]، فلا يقوى على أن يمارس شيء من أدواره الحياتية والاجتماعية كما يجب، لا يقوى على مواجهة نفسه الخاطئة، ولا يقدر على مقاومتها مع إنه يرى إن أفعالها موجبة لغضب الرب عليه بما تدعوه اليه، إذ لعل هذا الادراك هو الذي ينجي هذا الخطاء، وسبيل ذلك تفعيل اسم الله الواقي بقولنا: [**وَواقِيَ الأمْرِ المَخُوفِ**]، فتكون الوقاية الالهية هي قذف الحزن بهذه النفس؛ فيصبح ممن لا يلتذ بما يرتكبه ولا يستأنس بمن يصحبهم ممن يكونون سبب لجره وتقويته على عصيان الله تعالى والتمرد على أوامره، ففي ختام الدعاء نطلب مرافقة أهل الخير، والوحشة من أهل الشر.

وفي هذه العلامات التفاتة مهمة هي إن كان تأديب الله تعالى لهذه النفس بهذه المشاعر يكون هكذا أثرها وتأثيرها في تغيير سلوك الإنسان، فكيف لو كان التأديب بعقوبة مادية كمرض بدني، أو سلب عزيز، أو اختبار عصيب؟ فهذا شعور جعل الإنسان يقف على حقيقة عجزه وضعفه وفردانيته، فكيف له أن يدعي القوة بعدئذ التي تمكنه من التجرؤ في ارتكاب الخطايا، وعصيان رب هذا الشعور القوي العزيز؟!

بالنتيجة فإن الوقوف على هذه الحقيقة ولمسها وإدراكها موجبة لعصمة نفس هذا الداعي ونقله الى حال أحسن مع ربه ؟!

الوقفة الثالثة: مقومات رفع الحزن المذموم ومسببات الهموم[١]

المقوم الأول: إن ذِكر ما هو موجود موجب لعدم حزن العبد على ما هو غير موجود، كما ويجعل العبد ذاكراً شاكراً لربه المبتدأ إليه بالإنعام، وذلك بقولنا: [**وَلا تَجْعَلْني ناسيًا لِذِكْرِكَ فيما أَوْلَيْتَني**].

المقوم الثاني: تذكر قديم إحسان الله تعالى كي لا تضيق النفس وتجزع بالحزن عما ليس في يدها، أو بما وقعت فيه بسبب سوء فعلها، بسوء الظن بأن لا يشملها إحسان الله تعالى وجزيل عطائه وغفرانه وصفحة، وذلك بقولنا: [**وَلا غافِلاً لإِحْسانِكَ فيما أَبْلَيْتَني**].

المقوم الثالث: عدم اليأس مما عند الله تعالى من العطايا التي نطلبها، فالنفس عندما تطلب من أحد شيء ولا تعط أو تتأخر الإجابة عنها، هنا بطبيعتها تصاب بالحزن، لكن ما أن تتذكر قديم الإحسان وعطاء من طرقت بابه، حتما سينتفي الحزن وستعيش شعور الرجاء والامل ببلوغ المراد.

وهكذا -بلا قياس-هو إحسان الله تعالى فهو المتفضل فإن لم يعطي المطلب فإنه يعطي ما فيه خير وبما يعود بالصلاح على الطالب أكثر، او دفعاً لما فيه من ضر على الطالب مما لا يبصر؛ فاليأس يتحقق بمن طرقت بابه مرات وردك خائباً، أو نهرك يوماً ما وأنت كنت له راجياً، أما تعالى فحاشاه من ذلك كله، وهذا المقوم نجده في قولنا:

[**وَلا آيِسًا مِنْ إجابَتِكَ لي وَإِنْ أَبْطَأَتْ عَنِّي؛ في سَرّآءٍ كُنْتُ أَوْ ضَرّآءٍ؛ أَوْ**

١- الصحيفة السجادية: ص(٩٦-١٠٠).

شِـدَّةٍ أوْ رَخـآءٍ؛ أوْ عافِيَـةٍ أوْ بَـلآءٍ؛ أوْ بُـؤْسٍ أوْ نَعْمـآءٍ؛ أوْ جِـدَةٍ أوْ لأوآءٍ؛ أوْ فَقْـرٍ أوْ غِنىً].

المقـوم الرابـع: الحمـد والثنـاء فهـو موجـب لتحقـق التـوازن الشـعوري أو الانضبـاط والسـيطرة على المشـاعر، فالإنسـان الـذي يعيـش حالـة الحمـد والشـكر الدائمـة، لا يمكـن أن يصـاب بالحـزن بـأي حـال مـن الأحـوال على أي أمـر مـن أمـور الدنيـا، ولـن يفـرح الـى درجـة يَعظـم عنـده شـيء يفقـده مـن متاعهـا، وذلـك في قولنـا:

[وَاجْعَـلْ ثَنائي عَلَيْكَ، وَمَدْحِي إيّـاكَ وَحَمْـدي لَـكَ فِي كُلِّ حالاتـي حَتّى لا أَفْـرَحَ بِمـا آتَيْتَنـي مِـنَ الدُّنْيـا، وَلا أَحْـزَنَ عَلى مـا مَنَعْتَنـي فيهـا،...].

وبـأن يكـون قلبـه مستشـعر نعمـاء ربـه، كمـا ورد في قولنـا: **[وَأَشْـعِرْ قَلْبِـي تَقْـواكَ]** أي أجعـل هـذا القلـب نظـره متمحـور على مـا أوليتـه مـن النعـم، عندئـذ كيـف لعيـون هـذا العبـد أن تبصـر إن هنـاك نقـص في العطـاء او حاجـة لـم تلبى؟!

بالنتيجـة الحمـد والثنـاء إن وجـد في حيـاة العبـد حُصـن نفسـيًا مـن الحـزن، وحقـق ثمـرة أن يكـون صاحبهـا ممـن شُـغلت جوارحـه بالعمـل المُتقبـل، وذلـك بقولنـا: **[وَاسْـتَعْمِلْ بَـدَني فيمـا تَقْبَلُـهُ مِنِّـي]**.

وفي ذلـك ترويـض للنفـس علـى الطاعـة والامتثـال فـلا يفسـح للنفـس الأمـارة المجـال بـأن تُتعِـب صاحبهـا بالنفـور ممـا يحـب تعالـى فتعصـي أو حـب مـا يكـره فتتمـرد، وذلـك بقولنـا:

[وَاشْـغَلْ بِطاعَتِـكَ نَفْسـي عَـنْ كُلِّ مـا يَـرِدُ عَلَـيَّ حَتَّـى لا أُحِـبَّ شَـيْئًا مِـنْ سَـخَطِكَ، وِلا أَسْـخَطَ شَـيْئًا مِـنْ رِضـاكَ].

الوقفة الرابعة: علامات التحول ومنطلق التغير[١]

عندما يتسلل شعور الخوف الى داخله، سيدرك العبد حجمه الحقيقي وضعفه المتحقق دائماً، فينتقل الى خوف التطهير، خوف وقائي عاصم وهو خوف لقاء الله تعالى، وذلك بقوله: [وَأَشْرَفْتُ عَلى خَوْفِ لِقآئكَ فَلا مُسَكِّنَ لِرَوْعَتي].

ثم يطلب الأمان من مصدره الحقيقي والمعونة ممن بيده الملكوت، والقوة ممن بيده القدرة، وذلك بقوله(عليه السلام): [**وَمَنْ يُؤْمِنُني مِنْكَ وَأَنْتَ أَخَفْتَني، وَمَنْ يُساعِدُني وَأَنْتَ أَفْرَدْتَني وَمَنْ يُقَوِّيني وَأَنْتَ أَضْعَفْتَني**] فالاعتراف بالضعف مفتاح الانتقال من الحول والقوة التي كان يراها في نفسه الخاطئة الى حول ربه وقوته العاصمة.

ثم يصرح هنا بقوله(عليه السلام):

[لا يُجيرُ يا إلهي إلاّ رَبٌّ عَلى مَرْبُوبٍ؛ وَلا يُؤْمِنُ إلاّ غالِبٌ عَلى مَغْلُوبٍ؛ وَلا يُعينُ إلاّ طالِبٌ عَلى مَطْلُوبٍ؛ وَبِيَدِكَ يا إلهي؛ جَميعُ ذلِكَ السَّبَبِ؛ وَإلَيْكَ المَفَرُّ وَالمَهْرَبُ]

عندئذ لا مُلجِئ للمخطئ الا من باشر بتربيته، ولا مُؤمِن له على نفسه التي غلبته بالتمادي والتمرد الا الغالب، ولا معين لما مطلوب منه إلا الطالب، فهو ضعيف لولا معونته، ولا يمكنه الفرار مما هو مطلوب منه.

لذا هو لا سبيل له مع كل ما اقترفه الا الفرار الى ربه من نفسه، والهروب

١- الصحيفة السجادية: ص(٩٦-١٠٠).

من خطاياه الى خالقه، لكي يكفيه من نفسه الأمارة، ويقيه من كل ما يبعده عن طاعة سيدها ومولاها.

ثم يأتي هنا ذكر الصلاة بقوله(عليه السلام): **[فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ؛ وَأجِرْ هَرَبي، وَأنْجحْ مَطْلَبي]**، إذ لا يرد دعاء ختم بالصلاة، فهي المفتاح لتحقيق الطلبات، واستجابة الدعوات.

ثم يبدأ هنا العبد الداعي بالنظر الى ما هو حزين عليه بنظرة جديدة بقوله(عليه السلام) :

[اللّهُمَّ إنَّكَ إنْ صَرَفْتَ عَنِّي وَجْهَكَ الكَريمَ أوْ مَنَعْتَني فَضْلَكَ الجَسيمَ أوْ حَظَرْتَ عَلَيَّ رِزْقَكَ أوْ قَطَعْتَ عَنِّي سَبَبَكَ لَمْ أجِدِ السَّبيلَ إلى شَيْءٍ مِنْ أمَلي غَيْرَكَ؛ وَلَمْ أقْدِرْ عَلى ما عِنْدَكَ بِمَعُونَةِ سِواكَ]

وكأنه بهذه الاعترافات يزيل مشاعر الحزن ويتخلى عنها بالحزن على أمور أعظم واقدس، ليحل محلها الخوف من فقدان نظرة الله تعالى له وتحصيل فضله وإحسانه، الممزوجة باليقين الموجب للاكتفاء والاستغناء به عما سواها.

ثم في قوله(عليه السلام):

[فَإنِّي عَبْدُكَ وَفي قَبْضَتِكَ؛ ناصِيَتي بِيَدِكَ؛ لا أمْرَ لي مَعَ أمْرِكَ، ماضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضآؤُكَ وَلا قُوَّةَ لي عَلَى الخُرُوجِ مِنْ سُلْطانِكَ، وَلا أسْتَطيعُ مُجاوَزَةَ قُدْرَتِكَ وَلا اسْتَميلُ هَواكَ؛وَلا أبْلُغُ رِضاكَ؛ وَلا أنالُ ما عِنْدَكَ إلاّ بِطاعَتِكَ وَبِفَضْلِ رَحْمَتِكَ]

هنا يعيش مرحلة التسليم لحكم الله تعالى وقضائه وسلطانه، بل هنا هو

باحث عما ينيله الرضا والدخول في زمرة المطيعين، لا الباحث عن رغباته واهوائه وحاجاته الدنيوية التي هي بالحقيقة سبب حزنه وهمومه.

ثم ينتقل بعد ذلك الى مرتبة لا يرى هذا العبد شيء من أمور الدنيا تفتنه او تشغله بل كل همه وشغله هو الكافي، وذلك من خلال هذه الطلبات بقوله(عليه السلام):

[وَفَرِّغْ قَلْبي لِمَحَبَّتِكَ، وَاشْغَلْهُ بِذِكْرِكَ؛ وَانْعَشْهُ بِخَوْفِكَ وَبِالوَجَلِ مِنْكَ، وَقَوِّهِ بِالرَّغْبَةِ إليك، وَأَمِلْهُ إلى طاعَتِكَ، وَأَجْرِ بِهِ في أَحَبِّ السُّبُلِ إليك، وَذَلِّلْهُ بِالرَّغْبَةِ فيما عِنْدَكَ أَيّامَ حَياتي كُلِّها]

فهنا لم يعد يطلب الطاعة والقرب للوصول لحاجة وأمر ما من أمور الدنيا كلا بل أصبح كل مطلبه وطلباته هو ربه المتعال، هو بدأ في التفكير في ذلك العالم والتزود له بقوله:

[وَاجْعَلْ تَقْواكَ مِنَ الدُّنْيا زادي وَإلى رَحْمَتِكَ رِحْلَتي، وَفي مَرْضاتِكَ مَدْخَلي، وَاجْعَلْ في جَنَّتِكَ مَثْوايَ].

وهذا تحول ملفت، وانتقالاً سامياً يعرف إمامنا زين العباد (عليه السلام) الداعي عليها ليربي نفسه فيها، وينقل روحه اليها، وكأنها ترسم خريطة جديدة لمسار هذا العبد المحزون والمهموم بالخطايا ليكون تفكيره أوسع ونظرته أبعد.

الوقفة الخامسة: هباتٌ للثبات

في فقرات الختام[١] يعلمنا الإمام (عليه السلام) أن نطلب هِبتان اثنان أي لا عن استحقاق وجدارة بل بفضل ومنة من هذا الرب اللطيف الرؤوف، هما:

الهِبَةُ الاولى: هبة معنوية، بقولنا: **[وَهَبْ لي قُوَّةً أحْتَمِلُ بِها جَميعَ مَرْضاتِكَ، وَاجْعَلْ فِراري إليك وَرَغْبَتي فيما عِنْدَكَ]**، أي والان بعد أن أعود من ساحة مناجاتك الى دنياي، أحتاج أن تقويني على فتنها وابتلاءاتها، أحتاج أن تهبني قوة الثبات بما أقررت اليك به، وبما ستخولني به من مكرمات، مما جرى بفضلك على لساني من أمنيات القرب والزلفى، كي لا تكون ادعاءات قد قلتها في لحظات الصفاء والنقاء بل حقائق أعيشها حتى الممات.

الهِبَةُ الثانية: هبة سلوكية، في قولنا:

[وَأَلْبِسْ قَلْبِيَ الوَحْشَةَ مِنْ شِرارِ خَلْقِكَ؛ وَهَبْ لِيَ الأُنْسَ بِكَ وَبِأَوْلِيآئِكَ وَأَهْلِ طاعَتِكَ، وَلا تَجْعَلْ لِفاجِرٍ وَلا كافِرٍ عَلَيَّ مِنَّةً، وَلا لَهُ عِنْدي يَداً، وَلا بي إلَيْهِمْ حاجَةً، بَل اجْعَلْ سُكُونَ قَلْبي وَأُنْسَ نَفْسِي وَاسْتِغْنآئي وَكِفايَتي بِكَ وَبِخِيارِ خَلْقِكَ]

فمفتاح الوحشة من شرار الخلق، الذي يجعل القلب لا يحب أو يتقرب أو يوالي أو ينجذب إلا الى خيار الخلق، هو ايضاً من مواهب الرحمن التي يتفضل بها ويخص بها من يشاء، وعلاماتها الانس بالله تعالى وأوليائه وأهل طاعته، فهو يطلبها ليكون مع ربه ومستعين بوجوده مع أهل طاعته ليبقى على

١- الصحيفة السجادية: ص ٩٩.

طاعـة ربـه وفي ولايتـه.

ثـم طلـب أن يهبـه أن لا يكـون لفاجـر او كافـر لـه عليـه مِنَّـه أي فضـل يُعيـره بـه، ولا يكـن هـو لكافـر أو فاجـر في يـوم يـد سـاندة او معينـة فيأتـون اليـه او يتقربـون منـه لمنفعـة أو حاجـة بيـده يقضيهـا لهـم، ولا أن تكـون قضـاء حاجاتـه بيدهـم فيضطـر لطـرق أبوابهـم، بـل أن يجعـل قضـاء حاجاتـه ومعونتـه بيـده سـبحانه، وبذلـك تتحقـق الوحشـة مـن شـرار الخلـق، وبالمقابـل تتحقـق سـكينته وانسـي بربـه وبمرافقـة خيـار خلقـك.

وهاتـان الهبتـان بلوغهمـا وتحصيلهمـا تجعلانـه يترقـى في الطلـب أكثـر، فهـو تـارة يطلـب تمـام عطـاء الله تعالـى عليـه، وتـارة ليكـون عبـداً شـكوراً وعامـاً بمـا نالـه مـن هـذه الهبـات الاهيـة العظيمـة، وذلـك بقولـه:

[وَاجْعَلْنـي لَهُـمْ قَرينـًا، وَاجْعَلْنـي لَهُـمْ نَصيـراً، وَامْنُـنْ عَلَـيَّ بِشَـوْقٍ إليـك، وَبِالعَمَـلِ لَـكَ بِمـا تُحـبُّ وَتَرْضـى، إنَّـكَ عَلـى كُلِّ شَـيْءٍ قَدِيـرٌ، وَذلِـكَ عَلَيْـكَ يَسـيرٌ]

فهنـا لا يطلـب المرافقـة للوقايـة فقـط، بـل يطلـب أن يكـون قريـن أي يتحلـى بمـا يتحلـون ويتصـف بمـا يتصفـون.

أن يكـون لهـم عونـًا ونصيـراً كمـا هـم يعينـوه علـى الطاعـة وينصـروه علـى الترفـع عمـا في هـذه الدنيـا مـن مغريـات وزينـة، وبتعبيـر أدق أن يكـون معهـم قلبـًا وقالبـًا، اعتقـاداً وعمـلاً، مظهـراً وجوهـراً، وهـذا مطلـب ليـس بيسـير تحققـه في نفـس خاطئـة، إلا إنـه يسـير طالمـا كان الواهـب هـو الـرب القديـر.

في دعائه (عليه السلام) في الشدة والجهد وتعسر الامور

مقدمة: ما هو أصل العسر في حياتنا، وكيف نحل امورنا إذا تعسرت؟

في أصل مطالب الإمام(عليه السلام) في هذا الدعاء[١] -كما يبدوا- أن هناك تدرج، فالإمام(عليه السلام) لمَ يجعل هذا الدعاء وما فيه من مطالب لحل أمر من هذه الأمور- الشدة والجهد وتعسر الامور- متى ما طرأت أحدها أو كلها بل الواو جامع - فهي تفيد الجمع والاشتراك بين أمرين- فحصول أحدها جالب للثانية والثالثة وهكذا... و لكي نحلها ونخرج منها لابد من حلها جميعاً.

فالشدة هي أمر نفساني عادة يشعر به الإنسان بنفسه، والجهد هو أمر نفساني ومادي فهو شعور يستشعره بوجدانه ويتحسس أثره بجوارحه المُتعَبة، أما الأمر الثالث فهو أمر مادي يُرى وفق ما يعيشه من واقع.

فهناك من يرى بفكره إنه بشدة لكن هناك في واقعه خلاف ذلك فلو بذل جهد وغير تفكيره ووسع نظرته لأخرج نفسه من ذلك، أما الجهد فهي أشبه بالمرحلة البرزخية بين الشعور والتفكير وبين السلوك، فهو ما يحدد هل سيصل هذا الإنسان الى العسر إذا رآى الجهد إجهاد أو الى اليسر إذا رأى الجهد اجتهاد.

-وبتعبير أخر- الإنسان لما يصاب بشدة هو سيحاول بأن يفك هذه العقدة والشدة فإن لم يكن مسدداً ومعاناً سيُجهَد نفسياً وبدنياً من المحاولات وعندئذ مصيره الوقوع؛ فيرى أن الأمور عسيرة وهو عاجز عن تيسيرها.

١- الصحيفة السجادية: ص ١٢٠.

الوقفة الأولى: مفردات ثلاث والهيات ثلاث

المفردة الاولى: الشدة في الامور

يبتدأ الإمام(عليه السلام) الدعاء بعرض حال المبتلى فيبدأ بالجانب النفسي ألا وهو الشدة بقوله:

[اللَّهُمَّ إِنَّكَ كَلَّفْتَنِي مِنْ نَفْسِي مَا أَنْتَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي، وَ قُدْرَتُكَ عَلَيْهِ وَ عَلَيَّ أَغْلَبُ مِنْ قُدْرَتِي، فَأَعْطِنِي مِنْ نَفْسِي مَا يُرْضِيكَ عَنِّي، وَ خُذْ لِنَفْسِكَ رِضَاهَا مِنْ نَفْسِي فِي عَافِيَةٍ].

ولكن هذا العرض لا عرض شكاية بل عرض لحقيقة فيها شفاء للنفس، ودواء لفك عقدة الشدة، فيها تلقين لهذه النفس لما فيه صلاحها وايقاظها لتنهض من جديد فلا ترى الشدة فقط على إنها قاع لا يمكن الخروج منه، بل هي بوابة لمراجعة النفس لتعرف حدودها ومنتهى غاياتها، فيأتي الخطاب لها أنك مملوكة لإله إن كلفك فهو قد كلفك بما تتمكين من التغلب عليه من شدائد متى ما ارتبطت قدرتك وقوتك بالمصدر الأصل لا بقوتكِ وقدراتكِ الذاتية.

ومن هنا الإمام(عليه السلام) قد فصل بين قدرة الله تعالى على شدة هذا الامر وبين قدرته عليه هو كعبد، بقوله [وَ قُدْرَتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَيَّ أَغْلَبُ مِنْ قُدْرَتِي]، إشارة الى إن كل أمر من أمورنا هي أمور طارئة تأتي وتذهب، هي غير ثابتة او مستقرة، هي قابلة للتحسن أو أن تصبح أسوء، وكل ذلك مرتبط بالعبد نفسه واعتقاده وعلاقته بمن خلقه، وإيمانه بمدى قدرة الله تعالى على أن يمده بقدرة

من قدرته على تغيير أموره، ففي ذلك طلب لتعزيزه نفسياً وتقويته روحياً لتتحول شدته فرجاً.

كما إن الإمام(عليه السلام) يبين هنا غاية مهمة عندما يصاب العبد بشدة هي إنه يصل الى مقام من وصفه كتاب الله شددنا على قلبه، بقوله تعالى:﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ (الكهف:١٤)، وقوله:﴿وَ لِيَرْبِطَ عَلى قُلُوبِكُمْ وَ يُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدامَ﴾ (الانفال:١١)، حتى يصبح لا يرى لنفسه شيء، ولا يطلب لها شيء، بل كل ما يطلبه من عطاء أو اخذ هو ما يرضي هذا الاله عنه وكل ذلك بعافية، أي لا يكون تغير الحالة بما لا اقوى عليه من سخط يصيبني أو سلب للرضا بقضائك يقنطني!

المفردة الثانية: الجهد بالأمور

في قولنا:

[اللَّهُمَّ لا طَاقَةَ لِي بِالْجَهْدِ، وَ لا صَبْرَ لِي عَلَى الْبَلاءِ، وَ لا قُوَّةَ لِي عَلَى الْفَقْرِ، فَلا تَحْظُرْ عَلَيَّ رِزْقِي، وَ لا تَكِلْنِي إِلَى خَلْقِكَ، بَلْ تَفَرَّدْ بِحَاجَتِي، وَ تَوَلَّ كِفَايَتِي. وَانْظُرْ إِلَيَّ وَ انْظُرْ لِي فِي جَمِيعِ أُمُورِي، فَإِنَّكَ إِنْ وَكَلْتَنِي إِلَى نَفْسِي عَجَزْتُ عَنْهَا وَ لَمْ أُقِمْ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهَا، وَ إِنْ وَكَلْتَنِي إِلَى خَلْقِكَ تَجَهَّمُونِي، وَ إِنْ أَلْجَأْتَنِي إِلَى قَرَابَتِي حَرَمُونِي، وَ إِنْ أَعْطَوْا أَعْطَوْا قَلِيلاً نَكِداً، وَ مَنُّوا عَلَيَّ طَوِيلاً، وَ ذَمُّوا كَثِيراً. فَبِفَضْلِكَ، اللَّهُمَّ، فَأَغْنِنِي، وَ

بِعَظَمَتِكَ فَانْعَشْنِي، وَ بِسَعَتِكَ، فَابْسُطْ يَدِي، وَ بِمَا عِنْدَكَ فَاكْفِنِي].

هنا يبدأ الإمام(عليه السلام) بعرض الحالة الثاني وهو الجهد، يظهر اعترافه بضعفه وفقره الى الله تعالى الكافي المعافي، فإن عاش الإنسان شعور إنه في شدة لوحده، وينفصل عن مصدر قوته الحقيقية بلا شك سيرى إنه لا طاقة له على ذلك، ولا صبر له على أي اختبار، ولا قوة له للتعامل أو تقبل تعسر أمور حياته.

ولكن متى ما رأى إن الرزاق والوكيل هو رب كريم، لن يفكر أنه يمكن أن يحظر عنه رزقه، نعم قد تتعسر الأمور في مورد من موارد حياته، لكن قطعاً لن تسد أمامه كل الأبواب، ولن تتوقف كل موارده، والالتفات الى هذه الحقيقة كفيل بأن يصبح للإنسان المجهد تجدد في طاقته مهما كان جهده وبلائه وفقر يده كبير.

والملفت إن الإمام(عليه السلام) كما في فقرات السابقة بقوله **[وَ قُدْرَتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَيَّ أَغْلَبُ مِنْ قُدْرَتِي]**، هنا في هذه الفقرة أيضاً بقوله **[وَانْظُرْ إِلَيَّ وَانْظُرْ لِي فِي جَمِيعِ أُمُورِي]**، نجد هناك فصل بين نظر الله تعالى له كعبد ونظرته لأموره ولم يتم طلب نظرة واحدة، فالذات ثابتة أما فعل الذات متغير، وكلا منهما لهما نظرت وتعامل بما يوافق علم الله تعالى.

المفردة الثالثة: التعسر في الأمور

نقرأ في الفقرات التي تليها: **[اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ خَلِّصْنِي مِنَ الْحَسَدِ، وَ احْصُرْنِي عَنِ الذُّنُوبِ، وَ وَرِّعْنِي عَنِ الْمَحَارِمِ، وَ لَا تُجَرِّئْنِي عَلَى**

الْمَعَاصِي] هنا -كما يبدوا- أن الإمام(عليه السلام) يضع ايدينا على موارد توجب التعسر بالأمور وإلا لما علمنا الإمام(عليه السلام) أن نطلب من الله تعالى أن نتجنبها، ولما خصها بالذكر، ففي ذلك تنبيه ووقاية وكسب عصمة منها كي يُرفع عنا أي عسر، ولكي لا نقع في العسر، وهي:

اولا: الحسد، فالحسد مؤشر لخلل في إيماننا القلبي بعدل الله تعالى وحكمته في العطاء، وهذا حل على المستوى النفسيِ الوجداني الذي يترتب أثره على واقعنا، فالإمام عبر [**خَلِّصْنِي مِنَ الْحَسَدِ**] يعني أن كل نفس بشرية فيها بذرة هذا المرض، والقدرة على إنماء هذا الشعور الذميم في النفس تجاه الآخرين ظاهراً، واتجاه الخالق باطناً.

ثانيا: الذنوب، وذلك بقولنا: [**احْصُرْنِي عَنِ الذُّنُوبِ**]، فالذنوب تحيط بالإنسان إن لم يكن محاط بحفظ الله تعالى ومحصن بذكره، فطلب ذلك موجب لبعدها وعدم اقترابها منه.

ثالثا: الورع، وذلك بقولنا: [وَرِّعْنِي عَنِ الْمَحَارِمِ] هنا طلب أن نكون ممن يبعد عن أجواء الحرام، وكل شبهة وفتنة.

رابعا: المعاصي، بقولنا: [**لَا تُجَرِّئْنِي عَلَى الْمَعَاصِي**]، فإن حُصنت النفس عن الميل للذنوب، وابتعدت عن المحرمات، سيحظى بنعمة عدم التجرؤ على ارتكاب المعاصي، هنا وكأن الإمام(عليه السلام) ليس فقط يريد أن يعلمنا طلب هذه المطالب للتخلص من تعسر الأمور التي عندنا بل ينمي فينا الشعور بالحياء.

أي إنك أيها العبد إن أُعطِيت التحصين والابتعاد عن كل ما يبعدك عن

ربك، كيف تجرأ أن تعصيه بعد ذلك؟! وبأي سبيل وفي أي موطن بعيد عن هكذا رب قد أولاك كل هذا الاهتمام وكل هذه الرعاية والعناية، فأن تكون في جو إيماني، ومحيط خالي من أهل الذنوب، لا عذر لك على أن تعصيه إلا إن كنت بلا حياء ولا تقوى.

الوقفة الثانية: عطايا وعلامات

كل عطايا لها علامات نراها في أنفسنا، وهنا يذكرها لنا الإمام(عليه السلام) بالفقرات التالية بقوله:

[وَاجْعَلْ هَوَايَ عِنْدَكَ، وَرِضَايَ فِيمَا يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي وَ فِيمَا خَوَّلْتَنِي وَفِيمَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ، وَاجْعَلْنِي فِي كُلِّ حَالاتِي مَحْفُوظاً مَكْلُوءاً مَسْتُوراً مَمْنُوعاً مُعَاذاً مُجَاراً].

فقول الإمام(عليه السلام): **[وَاجْعَلْ هَوَايَ عِنْدَكَ]**، فيه إشارة دقيقة بأن لا تكون رغباتي وفقاً لهواي فأهلك، بل رغباتي منضبطة موجهة لما فيه نجاتي، فأكون ممن اسير على هدى منك لا بهوى منيّ.

وقول الإمام (عليه السلام) : **[وَرِضَايَ فِيمَا يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكَ]**، فيه علامة انتفاء حالة الحسد في النفس والتخلص منها.

وقول الإمام(عليه السلام): **[وَبَارِكْ لِي فِيمَا رَزَقْتَنِي وَ فِيمَا خَوَّلْتَنِي وَفِيمَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيَّ]**، البركة خلاف العسر، وبذلك يكون تمام رفع العسر والجهد والشدة. ويبقى تحقق ذلك يوجب المزيد من الافتقار لله تعالى ليديم عليه هذا الحال،

لـذا الإمـام(عليه السلام) يعلمنـا كيـف نختـم هـذه الفقـرات بقـول: [**وَاجْعَلْنِـي فِـي كُلِّ حَالَاتِـي مَحْفُوظـًا مَكْلُـوءاً مَسْـتُوراً مَمْنُوعـًا مُعَـاذاً مُجَـاراً**].

الوقفة الثالثة: العسر موجبات العسر واثاره بمنظور أوسع

وفي ختـام الدعـاء وكأن الإمـام(عليه السلام) يريـد أن ينقلنـا مـن التفكيـر في العسـر الـذي قـد نعيشـه في الدنيـا وكيـف إننـا نسـعى لرفعـه، أن نلتفـت الـى العسـر في ذلـك اليـوم وفي تلـك الحيـاة، فعسـر الدنيـا موقـت وقـد يرفـع ويبـدل الـى يسـر، ولكـن العسـر إن لـم نلتفـت عـن موجباتـه فعواقبـه في الآخـرة أشـد وأدوم، فـإن غفلنـا عـن تذكـره وطلـب رفعـه سـنكون مـن الخاسـرين.

بـل إن الإمـام(عليه السلام) يلفـت قلوبنـا الـى أنـه كمـا أن الدنيـا هـي مرآة للآخـرة وهـي مزرعتهـا فـإن كان أثـر زرعنـا في الدنيـا الناتـج عـن بعدنـا عـن الله تعالـى وحصـاده العسـر وهكـذا لا طاقـة لنـا عليـه، فكيـف بحصـاد ثمـره وجـزاؤه في الآخـرة، أم كيـف بنـا لعسـر ذلـك اليـوم وصعوبتـه وشـدته، فالأولـى بنـا أن لا نغفـل عنـه.

ولهـذا مـن يبحـث عـن موجبـات العسـر في حياتـه ويطـرق البـاب الصحيـح، وينيلـه الله تعالـى تغييـر حالـه واحوالـه، ويـرى آثـر اليسـر والبركـة في حياتـه الدنيويـة، كمـا وسـيكون تحصيـل حاصـل إنـه سـيكون مبـاركًا في الآخـرة وسـوف يحاسـب حسـابًا يسـيراً.

ولهـذا الإمـام(عليه السلام) ركـز علـى كيفيـة التخلـص مـن العسـر والجهـد والشـدة في الحيـاة الدنيـا، وأشـار في ختـام هـذه الفقـرات الـى هـذه المسـألة لوجـود أمـور

ومقدمات أخرى وخاصة قد توقعنا إن غفلنا عنها في تلك الدار، وهي بقوله:

[اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ اقْضِ عَنِّي كُلَّ مَا أَلْزَمْتَنِيهِ وَ فَرَضْتَهُ عَلَيَّ لَكَ فِي وَجْهٍ مِنْ وُجُوهِ طَاعَتِكَ أَوْ لِخَلْقٍ مِنْ خَلْقِكَ وَإِنْ ضَعُفَ عَنْ ذَلِكَ بَدَنِي، وَوَهَنَتْ عَنْهُ قُوَّتِي، وَلَمْ تَنَلْهُ مَقْدُرَتِي، وَ لَمْ يَسَعْهُ مَالِي وَ لَا ذَاتُ يَدِي، ذَكَرْتُهُ أَوْ نَسِيتُهُ هُوَ، يَا رَبِّ، مِمَّا قَدْ أَحْصَيْتَهُ عَلَيَّ وَ أَغْفَلْتُهُ أَنَا مِنْ نَفْسِي، فَأَدِّهِ عَنِّي مِنْ جَزِيلِ عَطِيَّتِكَ وَ كَثِيرِ مَا عِنْدَكَ، فَإِنَّكَ وَاسِعٌ كَرِيمٌ، حَتَّى لَا يَبْقَى عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْهُ تُرِيدُ أَنْ تُقَاصَّنِي بِهِ مِنْ حَسَنَاتِي، أَوْ تُضَاعِفَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِي يَوْمَ أَلْقَاكَ يَا رَبِّ].

فالحقوق التي يلزم بها العبد من الواجبات والفروض الاجتماعية التعبدية بِينة، فالإنسان يبقى غير معصوم ولابد أن يحصل لديه تقصير هنا أو هناك، مع هذا أو ذاك، فما كان منه دون قصد أو نسيانًا او غفلةً دون تعمد، وطلب العبد من ربه في حياته –وهو في الدنيا– أن يسامحه فيها إن قامت قيامته وحل لقائه به في تلك الدار، وذلك بأن يعوض أهلها عنه خير، فلا تؤخذ من حسناته فتقل كفة ميزان حسناته، ولا يضاف الى سيئاته شيء فتزداد كفة السيئات؛ حاشا لله تعالى أن يرده، فكلنا سنحاسب بفضل الله تعالى لا عدله وكلنا نرجو جوده وكرمه.

الوقفة الرابعة: ارزاق خمسة لتخطي الشدة والجهد والعسر

الرزق الاول: بقولنا

[اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ ارْزُقْنِي الرَّغْبَةَ فِي الْعَمَلِ لَكَ لِآخِرَتِي

حَتَّى أَعْرِفَ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قَلْبِي، وَ حَتَّى يَكُونَ الْغَالِبُ عَلَيَّ الزُّهْدَ فِي دُنْيَايَ، وَ حَتَّى أَعْمَلَ الْحَسَنَاتِ شَوْقًا، وَ آمَنَ مِنَ السَّيِّئَاتِ فَرَقًا وَ خَوْفًا، وَ هَبْ لِي نُوراً أَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ، وَ أَهْتَدِي بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ، وَ أَسْتَضِيءُ بِهِ مِنَ الشَّكِّ وَ الشُّبُهَاتِ].

ولعل الإمام(عليه السلام) بدأ بطلب هذا الرزق لحل آخر ما وصلت له أمور هذا الداعي، هي الرغبة في العمل لله تعالى اولاً ثم للأخرة، وبذلك نفهم أن أصل مشكلة وصول الإنسان إلى الوقوع في الشدة والجهد والتعسر هو أن رغباته لم تكن خالصة لله تعالى.

فالإمام(عليه السلام) هنا يعلمنا كيف نرتقي في رغباتنا، فلا نرغب بالصالحات لنحرز على الثواب والأجر الأخروي من جنان بل أن يكون رضوان الله تعالى عنا وعلى ما نعمل له الأولوية، وهذا الطلب تحققه فينا له علامات يبينا الإمام بشكل طلبات وهي:

الأول: الصدق القلبي في حركتنا وميولاتنا تجاه أي شيء نرغب فيه.

الثاني:الزهد في الدنيا يعني عدم التعلق بما فيها، كما وعبر الإمام بأن يكون [الغالب علينا الزهد] لأننا لسنا معصومين ولا يمكن أن نُتحلى بالزهد التام في الدنيا فهو شرط اشترطه تعالى على أنبيائه لينالوا مقام النبوة، فالمعصومين فقط من يوصفون بالزهد الكامل التام، كما نقرأ في فقرات دعاء الندبة:

[بَعْدَ اَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الزُّهْدَ فِي دَرَجاتِ هذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَزُخْرُفِها وَزِبْرِجِها، فَشَرَطُوا لَكَ ذلِكَ وَعَلِمْتَ مِنْهُمُ الْوَفاءَ بِهِ فَقَبِلْتَهُمْ وَقَرَّبْتَهُمْ،

وَقَدَّمْتَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْعَلِيَّ وَالثَّنَاءَ الْجَلِيَّ، وَاَهْبَطْتَ عَلَيْهِمْ مَلائِكَتَكَ وَكَرَّمْتَهُمْ بِوَحْيِكَ، وَرَفَدْتَهُمْ بِعِلْمِكَ، وَجَعَلْتَهُمُ الذَّرِيعَةَ اِلَيْكَ وَالْوَسِيلَةَ اِلى رِضْوانِكَ،[1]

الثالث: أن يكون عملنا للحسنات تشوقاً لا تكلفاً أي نابع عن حب، ولو لم يكن بعدها جزاء أو شكر تبقى عزيمتنا وإرادتنا ذاتها قوية.

الرابع: نعيش حالة من الأمان من إننا لا نعمل السيئات، وذلك بأن تكون لدينا بصيرة نفرق بها بين الحسن والسيئ، فنختار الحسن.

الخامس: أن نكون من الذين يخافون من الوقوع في السيئات، وهذا الخوف يجعلنا متنبهين يقضين متوقين وبذلك نكون بآمن، فالذي يحمل سلاح الإيمان ويحرس قلبه جيداً لا يمكن أن يغافله عدوه وسيكون منتصراً وامناً دوماً، فهنا الإمام(عليه السلام) قال: [حتى أعرف ذلك [من] قلبي وليس [في] قلبي]، فالقلب إن خلى من حب الدنيا زهد بما فيها.

ولأجاد في تسخير ما عنده من متعها بما يوجب له تيسرت اموره ولم يعيش حالة الضنك كما أتى بقوله تعالى: ﴿**وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى**﴾(طه:١٢٤)، فأصل العسر في المعيشة هو القلب الغافل غير الذاكر، ومن كان غافلاً قلبه كانت رغبته فيما يراه من متع في الدنيا -وبعبارة اخرى- تخلية القلب من حب الدنيا وتحليته بالزهد بما فيها يوجب بلوغ المرتبة الثالثة وهي التجلي المتمثلة بالشوق لفعل الحسنات، ولا

١- بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ١٠٤.

يـأتي مـن الإحسـان إلا التيسـير.

وهـذا يتطلـب هبـة الهيـة عاصمـة تحيـط قلبـه فتجعلـه ذو نـور يمشـي بـه في النـاس، أي يكـون منيـر لنفسـه ومضيئـاً لغيـره، يُهتـدى بـه إذا مـا مـر وهـو سـائر بيـن النـاس التي فيهـا ظلمـات. فهـذا حـال الدنيـا مـن يمشـي بيـن النـاس ويخالطهـم لابـد لـه وأن يخالـط أهـل النـور والظلمـات، ولابـد أن تعترضـه الشـبهات، وتلقـى علـى مسـامعه الشـكوك، فـإن كان ذا نـور الهـي عُصـم وخـرج مـن بينهـم سـالمـاً، فهـو ينيـر قلبـه مـن الشـكوك وعقلـه مـن الشـبهات ونفسـه مـن الميـل لأهـل الظلمـات.

الرزق الثاني: بقولنا

[اللَّهُـمَّ صَـلِّ عَلَـى مُحَمَّـدٍ وَ آلِـهِ، وَ ارْزُقْنِي خَـوْفَ غَـمِّ الْوَعِيـدِ، وَ شَـوْقَ ثَـوَابِ الْمَوْعُـودِ حَتَّـى أَجِـدَ لَـذَّةَ مَـا أَدْعُـوكَ لَـهُ، وَ كَأْبَـةَ مَـا أَسْـتَجِيرُ بِـكَ مِنْـهُ اللَّهُـمَّ قَـدْ تَعْلَـمُ مَـا يُصْلِحُنِي مِـنْ أَمْـرِ دُنْيَـايَ وَ آخِرَتِي فَكُـنْ بِحَوَائِجِي حَفِيّـًا].

نجـد هنـا تقديـم الخـوف مـن الوعيـد علـى شـوق الموعـود، في قولنـا **[ارْزُقْنِـي خَـوْفَ غَـمِّ الْوَعِيـدِ، وَ شَـوْقَ ثَـوَابِ الْمَوْعُـودِ]**، وهنـا نـورد عـدة التفاتـات:

اولاً: النفـس بطبعهـا تلتفـت وتسـتيقظ بالخـوف أكثـر، فهـذا التقديـم موجـب لمعرفـة قيمـة الثـواب الموعـود بـه ممـن يخـاف الوعـد الالهـي بالعـذاب، ممـن انحـرف عـن الأوامـر الإلهيـة التي هـي بالأصـل وضعـت لمصلحـة الإنسـان ونجاتـه وسـعادته.

ثانيـا: مجـيء لفظـة الوعيـد مـع الغـم، ففـي اللغـة الوعيـد هـو التهديـد بالشـر

والانذار بما سيحدث من نكبات ودمار وهذه آثار دنيوية، فنحن نقرأ في قوله تعالى: ﴿... فَأَثابَكُمْ غَمّاً بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا ما أَصابَكُمْ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ﴾(ال عمران:١٥٣)، هنا عُبِرَ عن الغم بالثواب ايضاً، فهو عذاب باطنه رحمة لا نقمة أي ليستقيم حالهم ولا يميلوا للدنيا ولهوها ولعبها.

فالإمام هنا قدم التبشير بثوابين، فالغم ثواب للتنبيه ولبلوغ الاستقامة، والشوق ثواب للثبات لتحقق الاستقامة. أما مجيء لفظة الشوق مع الموعود، فالموعود هنا بمعنى ما وعد به الإنسان في يوم القيامة من ثواب.

بالنتيجة فلا يوجد تقديم صريح للعقاب على الثواب، وإنما كلاهما رزق وثواب، وتحصيل الأول موجب لتحصيل الثاني -كما بينا- كما في قوله تعالى﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً ﴾ (ال عمران:١٥٤) اذن طلب رزق الغم ليس أمراً مذموماً بل هو أمر يُعد سبيل من سبل تهذيب النفس وتربيتها.

ثالثا: ومن معاني الغم هو الغطاء والستر أي خوف مما أخفي عني من آثار وجزاء الأعمال التي تنزل غضبك وعقابك وسخطك عليه، أي إن الإمام (عليه السلام) - بتعبير آخر - لم يُقدم ذكر الخوف من العقاب الأخروي على الثواب الأخروي ، بل قدم طلب تحقيق الخوف من الآثار الدنيوية للأعمال الموجبة للعقاب الأخروي ، فبذلك تربية للنفس أن تلتفت للآثار الدنيوية اولاً لأنها ستكون ذاتها الجزاء الأخروي ، فمن صحت أعماله وطابت آثارها تحصيل حاصل أن في يوم الموعود سيجد أمامه الثواب لا العقاب والتكريم لا التعذيب.

رابعا: إن محور الطلبين يدور حول تحفيز النفس على فعل الخيرات،

والنظر لجمال عطاء الله تعالى وفضله الذي سيجازي به عباده المحسنين لأنهم من أهل المداقة والمراقبة في أعمالهم. وكأن الإمام (عليه السلام) يريد منا الارتقاء من النفوس التي ترجو ابدال سيئاتها إلى حسنات في تلك الدار طمعاً بكرم الله تعالى الى من هم عباد يتقربون لربهم زلفا بالحسنات واجتناب السيئات لأنهم من أهل الشوق لطاعته لا الخوف من عقابه. هم اهل طلب لذة العبودية لا تخفيف التكاليف من أهل النفور والاستثقال، وكل ما يمكن أن يسبب بعدهم عن المحبوب.

كما وأن الإمام(عليه السلام) يبين لنا مصادق هذا الخوف والشوق وكيفية تحققه فينا، بقوله [**حَتَّى أَجِدَ لَذَّةَ مَا أَدْعُوكَ لَهُ، وَ كَأْبَةَ مَا أَسْتَجِيرُ بِكَ مِنْهُ**] أي من خلال أن يجد حلاوة ما يقوم بطلبه من هذا الرزق، وهذه اللذة تظهر على هيئة شوق باطني للقاء الله تعالى في ذلك اليوم.

أما الغم فهو لتجنب ما يميت هذا الشوق، واجتماع ظهور الكآبة لتحقق الغم فيه أي الانكسار لينهض مبتعداً عما يقعده عما يجعله قوي في ذات الله تعالى، وكأن هناك إشارة الى أن الأعمال أو الخطوات التي يخطوها الإنسان التي فيها شبهة أو ريب من المكروهات والمحذورات هي عادة تلتبس على الإنسان وقد يتسامح فيها، فلا يعرف حجم آثارها التي قد تسلبه التوفيق والرحمة والبركة على مستوى مصيره في الدارين، بينما الأعمال المستحبة والمحللة فهي واضحة لا لبس فيها أو في الاتيان بها بكل الاحوال، فهي لها آثار دنيوية طيبة وثواب أخروي. نعم أطلب خوف الغم وأن اكون كئيب فلعل ذلك موجب لصلاح

حالي وحسن ختامي، لأكون متوازن في نظرتي وتعاملي مع هذه الحياة وما ينتظرني في تلك الدار.

بالنتيجة هذا الرزق سيعيد بناء النفس تجاه ما آل إليه حالها من شدة وجهد وتعسر، فإن تحقق الشوق للوعيد والتحصن بغم الوعيد تجعل النفس مقبلة على الشوق للطاعات وهكذا سيعيش اليسر ويخف الجهد ويستشعر الانفراج.

الرزق الثالث: بقولنا:

[اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِ مُحَمَّدٍ، وَ ارْزُقْنِي الْحَقَّ عِنْدَ تَقْصِيرِي فِي الشُّكْرِ لَكَ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فِي الْيُسْرِ وَ الْعُسْرِ وَ الصِّحَّةِ وَ السَّقَمِ، حَتَّى أَتَعَرَّفَ مِنْ نَفْسِي رَوْحَ الرِّضَا وَ طُمَأْنِينَةَ النَّفْسِ مِنِّي بِمَا يَجِبُ لَكَ فِيمَا يَحْدُثُ فِي حَالِ الْخَوْفِ وَ الْأَمْنِ وَ الرِّضَا وَ السُّخْطِ وَ الضَّرِّ وَ النَّفْعِ].

هنا نطلب رزق الحق، وكأن الإمام(عليه السلام) يقول هنا إن كل ما بنا من شدة وجهد وعسر في أمورنا هو لتقصير منا في شكر أنعمك كما قال كتاب الله﴿وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ﴾(أبراهيم:٧)، فوجه من أوجه العذاب الشديد في الدنيا هو أن نعيش الضنك في المعيشة في أمور حياتنا كلها.

ولكي نخرج من هذا الحال ونبقى محافظين على إيماننا بالله تعالى، الذي هو الحق الذي لا يصدر منه إلا كل خير وفضل وعطاء فكثيرة هي علينا أنعامك، أن نحافظ على حُسن ظننا به عز وجل وإن دارت علينا دوائر الدنيا سواء كانت

شـدة أم انفـراج، جهـد أو راحـة، أن يكـون ميـزان علاقتنـا معـه هـو العبوديـة لأنـه الحـق الـذي لا يصـدر منـك الا كل عـدل ولا يعاملنـا إلا بالإحسـان والفضـل.

وكل مـا في حياتنـا ومـا آلـت إليـه أحوالنـا وامورنـا إنمـا هـي مـن مقدمـات نحـن قدمناهـا، وهـا نحـن نحصـد ثمـرة مـا قدمنـا، فهـذا التصـور وهـذا الادراك، وهـذا الاعـتراف لـن يجعـل هـذه النفـس تعيـش إلا حالـة الرضـا والطمأنينـة بإمكانيـة أن تتغيـر الأحـوال، فبيـد الحـق كل خيـر وبيـده أن يعيننـا كـي ننهـض وتتغيـر أمورنـا وأحوالنـا بحسـن حالـه إن أردنـا وعزمنـا علـى ذلـك.

الرزق الرابع: بقولنا:

[اللَّهُـمَّ صَـلِّ عَلَـى مُحَمَّـدٍ وَ آلِـهِ، وَارْزُقْنِـي سَـلَامَةَ الصَّـدْرِ مِـنَ الْحَسَـدِ حَتَّـى لَا أَحْسُـدَ أَحَـداً مِـنْ خَلْقِـكَ عَلَـى شَـيْءٍ مِـنْ فَضْلِـكَ، وَ حَتَّـى لَا أَرَى نِعْمَـةً مِـنْ نِعَمِـكَ عَلَـى أَحَـدٍ مِـنْ خَلْقِـكَ فِـي دِيـنٍ أَوْ دُنْيَـا أَوْ عَافِيَـةٍ أَوْ تَقْـوَى أَوْ سَـعَةٍ أَوْ رَخَـاءٍ إِلَّا رَجَـوْتُ لِنَفْسِـي أَفْضَـلَ ذَلِـكَ بِـكَ وَ مِنْـكَ وَحْـدَكَ لَا شَـرِيكَ لَـكَ].

بطبيعـة الحـال أي إنسـان فيـه الخيـر والشـر فلمـا يعيـش العسـر في أمـوره ويكـون مجهـد ولا يـرى أمامـه إلا شـدته والضيـق الـذي هـو فيـه، لـن يكـون سـليم الصـدر تجـاه مـا يـراه في أيـدي النـاس مـن نِعـم، ولـن يكـون سـعيد ولا مـن الفرحيـن لغيـره ممـن يعيـش اليسـر والهنـاء، فهنـاك مسـتويات مـن النـاس ثلاثـة:

هنـاك مـن يعيـش الحسـد أي تَمنـي زوال الحـال الحسـن الـذي يعيشـه الغيـر وتمنيـه لنفسـه. وهنـاك لا! هـو ممـن يعيـش الغبطـة أي يفـرح لهـم ويتمنـى أن ينـال

مثلهم حسن الحال. وهناك من يفرح لهم لأنه عطاء الله تعالى لهم والرزق المقدر لهم، هو ممن لا تحصل لديه مقارنة أو مقايسة بين حاله وحال غيره، وهذا هو أرقى مستويات النفوس المؤمنة.

لذا المؤمن الفطن هو ممن يحرص على أن يبقى سليم الصدر من هذا المرض الخطير، لذا طلب هذا الرزق لتحصين النفس من جهة، واللفات نظرنا في أننا قد نقع بهذا المرض دون أن نشعر، فيزيد سوء حالنا وتعسر أمورنا أكثر، كما قال تعالى: ﴿...الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ لَعَنَهُمْ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَ ساءَتْ مَصِيراً﴾(الفتح:٦).

هنا الإمام(عليه السلام) ينبهنا كي لا نكون ممن ينظر لما في أيدي الأخرين من نِعم حسداً، بل لننظر نظرة المتأمل بجميل عطاء هذا الرب، وجزيل عطائه وقديم إحسانه، فهذه النظرة نظرة الالتفات للمُنعم لا النَعم، لذا قال الإمام (عليه السلام): [رَجَوْتُ لِنَفْسِي أَفْضَلَ ذَلِكَ بِكَ وَ مِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ]، فالرجاء موجب لفتح نافذة الأمل في النفس للخروج من الشدة التي يعيشها، وذلك بطرق الباب الوحيد القادر على تيسير الأمور وتغيير الأحوال بك لا بواسطة غيرك، ومنك لا من عطاء غيرك.

الرزق الخامس: بقولنا:

[اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ ارْزُقْنِي التَّحَفُّظَ مِنَ الْخَطَايَا، وَ الِاحْتِرَاسَ مِنَ الزَّلَلِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ فِي حَالِ الرِّضَا وَ الْغَضَبِ،

حَتَّى أَكُونَ بِمَا يَرِدُ عَلَيَّ مِنْهُمَا بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، عَامِلاً بِطَاعَتِكَ، مُؤْثِراً لِرِضَاكَ عَلَى مَا سِوَاهُمَا فِي الْأَوْلِيَاءِ وَ الْأَعْدَاءِ، حَتَّى يَأْمَنَ عَدُوِّي مِنْ ظُلْمِي وَ جَوْرِي، وَ يَيْأَسَ وَلِيِّي مِنْ مَيْلِي وَ انْحِطَاطِ هَوَايَ وَ اجْعَلْنِي مِمَّنْ يَدْعُوكَ مُخْلِصاً فِي الرَّخَاءِ دُعَاءَ الْمُخْلِصِينَ الْمُضْطَرِّينَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ].

بعد طلب الأرزاق الأربعة التي تساعد في أن تكون أمورنا سائرة في يسر وبحسن حال من الله تعالى، هنا نطلب في هذا الرزق أن يكون اليسر مقرون بالعافية، أن نسير وفق ما أراد الله تعالى دون أن نختبر بما قد يعيدنا الى ما كنا عليه من عسر وجهد وشدة.

نطلب رزق العصمة والحصانة والحفظ الإلهي من أن نخطئ في أعمالنا، فتتعثر أمورنا، أن نحاط بحصن الله تعالى فلا تزل أقدامنا في الدنيا فتزل هناك على الصراط في الأخرة، فتكون نظرتي لما يَردُ علينا من هذه الدار التي هي دار ابتلاء وامتحان واختبار هي هي في اليسر والعسر.

أن لا نطلب رضا احد إن كان وليًا او عدواً بل نطلب رضاه سبحانه وحده، أن نصل الى أن نتحلى باسم من اسمائه وهو المؤمن فأكون أمان وسلام فلا أظلم حتى عدوي، وحتى لا نكلف أحد من أوليائه هَم ثباتنا واستقامتنا بل نصل إلى مرحلة من جعله مؤمن بنا ومُطمَئن علينا وعلى سلامة إيماننا واعتقادنا، أن ييأس من أن يرانا يومًا نميل لما تهوى النفس او تشتهي مما لا يرتضيه تعالى.

وهذه الطلبات تشير الى ترقي في النفس ووسع نظرتها تجاه تكليف صاحبها

كعبد مؤمن بهذا الرب، لذا هو يختم طلباته بأن يكون عبد داعي لربه دعاء المضطر دائماً وفي كل الأحوال وكل الأوقات وليس فقط لأنه يمر الآن بشدة وجهد وتعسر في الأمور.

فالإخلاص في الدعاء يُعرف من وجود حالة الاضطرار في الداعي وليس فقط عندما يكون محتاج أو يمر بضائقة او أبتلاء، بل حتى في عزه وغناه ويسره هو يبقى العبد المضطر للرب الذي أعزه وأغناه وجعل أموره متيسرة، فبذلك أصل دوام العز والغنى واليسر إن كان من ذوي الألباب.

من دعائه (عليه السلام) في الرضا إذا نظر الى أصحاب الدنيا

مقدمة

في زمن عظمت الحياة الدنيا في القلوب، فمغرياتها وزينتها وزخارفها زادت وتشعبت حتى ملأت عيون الجميع فضاقت نظرة عيون القلوب التي في الصدور لما بعدها من الحياة الأخرى، فهو الاختبار الأشد على كل من يدعي إنه يؤمن أنه ما خلق لهذه الحياة الفانية المؤقتة، إنما هي معبر لحياة الخلود ذات المتع والنعيم الدائم.

وما بين هذا الاعتقاد وشدة الافتتان في تجسيد هذا الاعتقاد في سلوك أهل الإيمان، يعطينا الإمام السجاد (عليه السلام) في هذا الدعاء[1] المفتاح، فهو ليس دعاء طلب بل دعاء تثبيت الحقائق في النفوس، بل لو تأملنا فقط في عنوان الدعاء

١- الصحيفة السجادية: ص (١٥٣-١٥٤).

لكان به الارتواء بالحق.

إذ عبر الإمام [بالنظر الى أصحاب الدنيا]، ففي اللغة صاحب الشيء هو مالكه، وكأن الإمام (عليه السلام) يقول لنا إنهم أصحابها فما فيها من متع وزينه هي لهم، هذه المتع التي وصفها تعالى على لسان نبيه الخاتم(صلى الله عليه وآله) بقوله: [**يا أبا ذر، والذي نفس محمد بيده لو أن الدنيا كانت تعدل عند الله (عز وجل) جناح بعوضة ما سقى الكافر والفاجر منها شربة من ماء**] [١]. أما أنتم فأصحاب الآخرة، التي لكم فيها الابقى والادوم، فهذه الحقيقة لو ترسخت لكم قوية واستقامة وثبتت النفوس.

الوقفة الأولى: تقسيم المعايش

في هذه الفقرات: [**الْحَمْدُ لِلَّهِ رِضًى بِحُكْمِ اللهِ، شَهِدْتُ أَنَّ اللهَ قَسَمَ مَعَايِشَ عِبَادِهِ بِالْعَدْلِ، وَ أَخَذَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ بِالْفَضْلِ**]، هنا يرد تساؤل ألا وهو: لماذا خص الإمام المعايش في المقايسة والنظر بين أصحاب الدنيا وأصحاب الاخرة دون غيرها؟

والجواب يمكن أن نستلهمه من قوله تعالى: ﴿**وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَيْنا فِيها رَواسِيَ وَ أَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ* وَ جَعَلْنا لَكُمْ فِيها مَعايِشَ وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرازِقِينَ**﴾(الحجر:١٩-٢٠)، إذ تذكر لنا حقيقة إن المعايش كلها التي على الأرض هي بفعل [جعلي] منه عز وجل لجميع الخلق - فكما يبدوا - إن

١- الأمالي: ص ٥٣١.

المعايش المذكورة في الدعاء هي الارزاق الالهية التي تكفل بتوزيعها واعطاءها لجميع خلقه كي يعيشوا في هذه الدنيا، فلو منعها من بعضهم دون الآخر لكان ذلك موجب لموتهم، أي هي من المقومات الأساسية والطبيعية التي لا غنى لأحد المخلوقات عنها في ديمومة حياته وتواجده على هذه الأرض حياً.

بالنتيجة لو حرموا منها سيكون خروجهم من الدنيا واختباراتها بشكل اضطراري -إن صح التعبير- وهذا خلاف عدل الله تعالى الولي ومصدر موارد ومعايش الحياة لكل المخلوقات، فبعدله وزعها واعطاها لكل العباد، وبفضله مد بها حتى أهل الجحود والعناد.

الوقفة الثانية: بين فتنتين

قول الأمام(عليه السلام): [**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ آلِهِ، وَ لَا تَفْتِنِّي بِمَا أَعْطَيْتَهُمْ، وَ لَا تَفْتِنْهُمْ بِمَا مَنَعْتَنِي فَأَحْسُدَ خَلْقَكَ، وَأَغْمَطَ حُكْمَكَ**]، نجد أننا نطلب من الله تعالى أن لا نتعرض لفتنتين:

الأولى: في أنفسنا وعلامتها هي الحسد، أما لماذا نطلب من الله تعالى نفي داء الحسد منا؟ -فكما يبدوا- بما إن الحسد يعني تمني زوال الشيء من الغير، وهذا خلاف الإيمان بعدل الله تعالى في عطائه وتوزيع أرزاقه، فبهذا الطلب نطلب التخلص من موجبات إفساد إيماننا وإضعافه، أما الغاية الأخرى- والأخص في هذا المورد- نفهمه من تتمة تعريف معنى الحسد والذي هو تمني انتقال ذلك الشيء من بين ايديهم الى يدي الحاسد، أي تمنى انتقال ما خص به أصحاب

الدنيا من متعها، فظاهر هو طلب ما لديهم أما باطنه هو طلب أن يكون منهم ومعهم. بالنتيجة انتفاء الحسد في الداعي انتفاء فيه أشبه بالضمان والحصانة من أن يكون من أصحاب الدنيا يوماً.

أما الفتنة الثاني هو ألا يكون أصحاب الأخرة - الذي يرجوا الداعي أن يكون منهم - فتنة لأصحاب الدنيا بهذا المنع والحجب لبعض النعم والارزاق، فينظروا له باستعلاء وتكبر، فيظنون إن منع الله تعالى هذا ما هو إلا علامة بُعد أو طرد أو غضب، وبالمقابل عطائه لهم علامة رضى وقرب وتكريم، ليزدادوا طغياناً بينما هم في الواقع مستدرجين بهذه النعم.

وكأن الإمام(عليه السلام) هنا لا يريدنا أن نفكر في أنفسنا فقط وكيفية تحصيل نصرة الله تعالى ودفاعه عنا، فلا نكون محل ازدراء و استصغار واحتقار لما زوي عنا من نِعم، بل أيضاً ألا نكون بموضع نكون سبب لتمادي العاصين بعصيانهم، واستمرار البعيدين ببعدهم وعدم رجوعهم وإنابتهم إلى ربهم ليتوبوا وينتقلوا من أصحاب الدنيا إلى أصحاب الآخرة.

الوقفة الثالثة: خماسية الرضا بقضاء الله تعالى

ثم يذكر الإمام(عليه السلام) أربعة أمور توجب تحقق الرضا بقضاء الله تعالى، هي:

الأمر الاول: [وَطَيِّبْ بِقَضَائِكَ نَفْسِي]، فأن تطيب النفس بقضاء الله تعالى، فهذا هو عين الرضا، أن ترى كل ما في حياة صاحبها وبين يديه وما عنده طيب، كيف لها بعد ذلك أن تمد عينها لما عند غيرها أياً كان تحسراً او طلباً.

الأمر الثاني: [وَوَسِّعْ بِمَوَاقِعِ حُكْمِكَ صَدْرِي]، فطيب النفس هو أمر شعوري يتطلب إدراك ومعرفة مسبقة بما يوصلها الى أن تتحسس وترى كل ما لديها طيب، ولهذا الإمام(عليه السلام) يعلمنا أن نطلب من الله تعالى سعة الصدر الذي هو موضع العلم كما يشير لذلك أمير الكلام(عليه السلام) بقوله: [ها إن هاهنا لعلما جما – وأشار إلى صدره – لو أصبت له حملة!][1]، ومحور هذا العلم وموضوعه هو حكمة الله تعالى [بمواقع] أي علة توزيعه وإنزاله للعطايا بهذه الموضع أو ذاك.

فمن مصاريق هذا العلم ما روي عن الإمام الحسين (عليه السلام) أنّه قال: [الاستدراجُ من اللهِ (سبحانه) لعبدِه أنْ يُسبغَ عليه النعم، ويسلبُه الشكر][2]، إذ إن عدم الشكر المتحقق بأهل الدنيا هو ليس في أن لا يشكرون المنعم فكثير منهم يشكر ويذكر لكن السلب الحقيقي للشكر هو أين تستثمر هذه النعم، هل تستخدم في معصية الله تعالى، أم في مواطن طاعته؟ هنا الفيصل الحقيقي للشكر.

وذلك في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ**﴾(الأنعام: ٤٤)، فميزة أصحاب الآخرة إنهم ذاكرون شاكرون مطيعون، أي يذكرون المنعم ويشكرونه باللسان وبالعمل بالاستعانة بها في مواطن الطاعات.

أم كيف لا يتسع الصدر لهذه الحقيقة لو كان صاحبه من المتوقفين على ما

١- شرح نهج البلاغة: ج ١٨، ص ٣٤٦.
٢- تحف العقول: ص ٢٤٦.

جاء في محكم كتابه بقوله: ﴿لا يَسْتَوِي أَصْحابُ النَّارِ وَأَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفائِزُونَ﴾ (الحشر: ٢٠)، نعم لهم متع الدنيا كلها ولكن الدنيا مرحلة في رحلة، والفيصل هو بما يختم للإنسان في رحلته هذه، كما في قوله تعالى: ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوالُهُمْ وَ لا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠)، اذا هم ممن استوفوا في الدنيا لأنهم من طلابها، وليس لهم في الآخر شيء من المتاع، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَ يَأْكُلُونَ كَما تَأْكُلُ الْأَنْعامُ وَ النَّارُ مَثْوىً لَهُمْ﴾(محمد: ١٢).

الأمر الثالث: [وَهَبْ لِيَ الثِّقَةَ لِأُقِرَّ مَعَهَا بِأَنَّ قَضَاءَكَ لَمْ يَجْرِ إِلَّا بِالْخِيَرَةِ]، الهبة هي العطية التي تعطى بلا مقابل ودون انتظار مقابل من المعطى، فهنا الإمام(عليه السلام) وكأنه يشير إلى حقيقة صعوبة أن تستقر النفس وتشعر بإنها مكرمة وعزيزة عند خالقها دون عطاء مادي ظاهر تراه في حياة صاحبها الدنيوي.

فهو يطلب ذلك كهبة وكأن هذه النفس لا تقوى على استشعار الثقة بقيمتها ومكانتها عند خالقها فهي عجز محض أمام هذا الأمر، وهذا يوصلنا لخطورة عدم الرضا بقضاء الله تعالى النابع من النظر الى أصحاب الدنيا.

بل وعظم وشدة هذه الفتنة التي قد تردي الإنسان الى الشك بحكمة الله تعالى وعدله في قضائه بين الخلق- وكما يبدوا-إن هذه الموهبة ثم التوسعة في الصدر هي التي توصل لأن تطيب النفس وترضى بما لديها من الدنيا، وإن

ما جرى له من العطايا والأرزاق آيـًا كان ما هو الا بما فيه خير له في دنياه كي لا يكون من أصحاب الدنيا، وفي أخراه كي يجزى الجزاء الأوفى، وذلك جزاء الصابرين على المنع مما متع به غيره من أهل الدنيا.

الأمر الرابع: [وَاجْعَلْ شُكْرِي لَكَ عَلَى مَا زَوَيْتَ عَنِّي أَوْفَرَ مِنْ شُكْرِي إِيَّاكَ عَلَى مَا خَوَّلْتَنِي]، هنا الطلبة هي الشكر الجعلي منه سبحانه، أي أن يتولى الله تعالى أمر نفس هذا الشاكر وتوجيهها للشكر الذي ينبغي منه.

أما لماذا تقديم الشكر على ما منع عنه على ما خوله به، بل وجعله [أوفر] هنا التعبير ورد بصيغة مبالغة للوفرة، ففعل (متوفر) بمعنى متواجد أي حاضر في النفس وشاغل لها فلا تتركه ولا تنساه، لأن النفس صار عندها إقرار بإن ما منع عنها لأنه ليس لها فهو لأصحاب الدنيا وهي ترتجي أن تكون من أصحاب الآخرة.

فهذا الانزواء فيه بشارة وإشارة إنها ليست من أصحاب هذه الدنيا فكيف إذن لا تديم شكر الله تعالى على ذلك، بل وتقدمه على ما اعطيت من معايش الدنيا.

والإمام(عليه السلام) عبر عما يعطى أصحاب الأخرة من متاع الدنيا إنما هو تخويل بقول [بما خولتني]أي وكله وفوضه لا إنه ملكه، وهذا تأكيد أخر لهذه الحقيقة.

فأهل الآخرة يشاركون أهل الدنيا بدنياهم، أما في الآخرة فهي خالصة لهم

كما في قوله تعالى: ﴿وَنادى أَصْحابُ النَّارِ أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ﴾(الاعراف: ٥٠).

وكما جاء عن أمير الكلام(عليه السلام): [واعلموا يا عباد الله أن المتقين حازوا عاجل الخير وآجله، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، أباحهم الله في الدنيا ما كفاهم به، وقال عز اسمه: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(الأعراف: ٣٢) ،ثم قال(عليه السلام):سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت وأكلوها بأفضل ما أكلت، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم، فأكلوا معهم من طيبات ما يأكلون، وشربوا من طيبات ما يشربون ولبسوا من أفضل ما يلبسون، وسكنوا من أفضل ما يسكنون، وتزوجوا من أفضل ما يتزوجون، وركبوا من أفضل ما يركبون، أصابوا لذة الدنيا مع أهل الدنيا، وهم غدا جيران الله يتمنون عليه فيعطيهم ما يتمنون، لا يرد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيب من اللذة، فإلى هذا يا عباد الله يشتاق إليه من كان له عقل ويعمل له تقوى الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله][1].

الأمر الخامس: [وَاعْصِمْنِي مِنْ أَنْ أَظُنَّ بِذِي عَدَمٍ خَسَاسَةً، أَوْ أَظُنَّ بِصَاحِبِ ثَرْوَةٍ فَضْلاً، فَإِنَّ الشَّرِيفَ مَنْ شَرَّفَتْهُ طَاعَتُكَ، وَ الْعَزِيزَ مَنْ أَعَزَّتْهُ عِبَادَتُكَ]، ثم ينتقل بنا الإمام(عليه السلام) هنا الى طلب العصمة من النظر لمن هم من أصحاب

١- بحار الأنوار: ج ٦٧، ص ٦٧.

الأخـرة أو حتـى أصحـاب الدنيـا الذيـن لـم يجيـدوا حتـى صحبـة الدنيـا فخسـروا متـاع الدنيـا الزائـل ومتـاع الاخـرة الدائـم، فـأي كان المنظـور لـه أن لا أنظـر لـه بعيـن الضعـة والاسـتصغار، أو أنظـر لأصحـاب الدنيـا بإكبـار.

أي ألا يكـون مقيـاس التقييـم لهـم هـو ظاهرهـم الدنيـوي ومـا يحوزونـه فيهـا أو مـا لا يحـوزون منهـا، بـل مقيـاس الشـرف هـو الطاعـة، ومقيـاس العـزة هـو العبـادة. فليـس كل فقيـر ومعـدم هـو ليـس بـذي شـرف وكرامـة وعـزة، وليـس كل ذي مـال وثـروة هـو شـريف ومحـترم وذو عـزة بيـن الخلـق وعنـد الخالـق. إنمـا التزكيـة عنـد الله تعالـى وبيـد الله تعالـى وحـده.

وهكـذا فنحـن -كمـا يعلمنـا الإمـام(عليه السلام) في هـذا الدعـاء- إن كنـا نطلـب شـيء فإنمـا نطلـب مـا هـو أدوم وأبـدي، ذاك الـذي لا ينيلـه الا لأهـل الإيمـان وأصحـاب حسـن الختـام، حيـث النعيـم الدائـم وفي ملـك الله تعالـى القائـم، وذلـك بقولنـا:

[فَصَـلِّ عَلَـى مُحَمَّـدٍ وَ آلِـهِ، وَمَتِّعْنَـا بِثَـرْوَةٍ لَا تَنْفَـدُ، وَ أَيِّدْنَـا بِعِـزٍّ لَا يُفْقَـدُ، وَ اسْـرَحْنَا فِـي مُلْـكِ الْأَبَـدِ، إِنَّـكَ الْوَاحِـدُ الْأَحَـدُ الصَّمَـدُ، الَّـذِي لَـمْ تَلِـدْ وَ لَـمْ تُولَـدْ وَ لَـمْ يَكُـنْ لَـكَ كُفُـواً أَحَـدٌ].

في دعائه (عليه السلام) بعد الفراغ من صلاة الليل لنفسه في الاعتراف بالذنب

الوقفة الأولى: النار بأصنافها الخمس

في مقطع من فقرات هذا الدعاء[١] يذكر الإمام(عليه السلام) تفصيل في وصف النار ووظائف ودور كل منها كجزاء لأصحاب النار الداخلين فيها، هو صلوات الله عليه يعلمنا كيف نطلب من الله تعالى الحفظ منها، وبأن يحصنا من الدخول بها، وذلك بالتعوذ به منها بقول: [**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ**]، وهذه الاصناف هي أربعة:

الأول: [**مِنْ نَارٍ تَغَلَّظْتَ بِهَا عَلَى مَنْ عَصَاكَ، وَ تَوَعَّدْتَ بِهَا مَنْ صَدَفَ عَنْ رِضَاكَ**]، هذا الصنف من النار يصف فيه الإمام(عليه السلام) مظهر من مظاهر غضب الله تعالى على صنف من الخلق وهم العصاة، وكم وصف الإمام(عليه السلام) دقيق بوضع فعل الغلظة بصيغة تغلظ أي إن الأصل في الله تعالى هو الرأفة والرحمة، الليين والرقة على خلقه، لكن ما أن يرتكبون المعاصي يكونون من أهل الاستحقاق للعذاب وإن كانت رحمته سابقة.

وهذا الصنف من النار هو مظهر من مظاهر وعد الله تعالى لمن [صَدَف] أي مال وانحرف عن الطاعة، فهنا حصول الوعيد في قبال تحقق الغلظة لمن عصا، لأن الذي يميل عن الطاعة لم يصل لمرحلة تحقق العصيان في عمله، فتحقق الوعيد يجري على ما يكتسب الإنسان من أعماله، وهذه إشارة لطيفة من الإمام(عليه السلام) تبين لنا عدل الله تعالى في تعامله مع خلقه من جهة فعند الله تعالى

١- الصحيفة السجادية: ص ١٤١.

في الجزاء لا يتساوى الميل القلبي والفعل الجوارحي، فليس كل ميل يوصل الى الفعل، والله تعالى يجازي على ما كسبت الجوارح لا بما فكرت به الجوارح وإن كانت هي مقدمة.

ومن جهة أخرى الإمام (عليه السلام) يبين إن هناك إنذار بالنار من خلال التوعد، فإن لم يتعظ من أنذر وأقدم على فعل المعاصي أستحق أن يعاقب بالنوع الأول من النار، لذا تصديق وعد الله تعالى يحفظ النفس والقلب من الانحراف عن الطاعة الى المعصية.

الثاني: [اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ... مِنْ نَارٍ نُورُهَا ظُلْمَةٌ، وَ هَيِّنُهَا أَلِيمٌ، وَ بَعِيدُهَا قَرِيبٌ]، نعم النار في عالم الدنيا تُعد مصدر من مصادر النور، التي يستضيء بها بني البشر في ظلمة الليالي وفي أي عتمة هي مصدر للضياء، ولكن في عالم الأخرة الأمر مختلف فهي تكون لأصحابها ظلمة، كما في قوله تعالى: ﴿وَ الَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئاتِ جَزاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها وَ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ما لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عاصِمٍ كَأَنَّما أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾(يونس:٢٧).

فهم كما إنهم تولوا الطاغوت الذي أخرجهم من النور الى الظلمة فهم في الاخرة سيكونون من أهل الظلمات، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ أُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾(البقرة:٢٥٧).

لذا هم يخاطبون اصحاب الجنة في ذلك العالم بأن يعطونهم نوراً، وذلك بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَ الْمُنافِقاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَراءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ﴾(الحديد:١٣)، فما أصعب أن يكون حتى مصدر النور مصدر ظلمة؟!

ثم يأتي الوصف الأخر لهذا الصنف من نيران الأخرة وهو إن أهون أليمها ليس بألم هين، وذلك لأنهم مقيمين فيها، وتعرضهم للهيبها دائم، كما في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَ ما هُمْ بِخارِجِينَ مِنْها وَ لَهُمْ عَذابٌ مُقِيمٌ﴾.

اما الوصف الثالث فهو قربها مهما بعدت، كيف، لا! وهي محيطة بهم كما في قوله تعالى: ﴿وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾(البقرة:١٦٧)، وقوله: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبادَهُ يا عِبادِ فَاتَّقُونِ﴾ (الزمر:١٦).

الثالث: [اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ... مِنْ نَارٍ يَأْكُلُ بَعْضَهَا بَعْضٌ، وَ يَصُولُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ]، في هذا الصنف -كما يبدوا - إشارة الى كون الجزاء من سنخ وجنس العمل، فالنار هي مخلوق من مخلوقات الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَ تَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (ق:٣٠)، فالإمام(عليه السلام) هنا لا يشير الى إنها تأكل لحم اصحابها وتذيب اجسامهم بلهيبها فقط، بل هي

تـأكل بعضهـا البعـض، وتصـول وتجـول بـلا رادع لبعضهـا علـى بعـض.

وهكـذا كان حـال أصحـاب هـذا الجـزاء فهـم كانـوا يأكلـون بعضهـم البعـض في حياتهـم الدنيـا، وإن كان بشـكل معنـوي كمـا تُوصـف الغيبـة بـأن اصحابهـا يأكلـون لحـم المغتـاب، كمـا في قولـه تعالـى: ﴿وَ لا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضـاً أَ يُحِـبُّ أَحَدُكُـمْ أَنْ يَـأْكُلَ لَحْـمَ أَخِيـهِ مَيْتـاً فَكَرِهْتُمُـوهُ وَ اتَّقُـوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ تَـوَّابٌ رَحِيـمٌ﴾، وفي أكلهـم لأمـوال أيتامهـم كمـا في قولـه تعالـى: ﴿إِنَّ الَّذِيـنَ يَأْكُلُـونَ أَمْـوالَ الْيَتامى ظُلْمـاً إِنَّمـا يَأْكُلُـونَ فِـي بُطُونِهِـمْ نـاراً وَ سَـيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾(النسـاء:١٠)، وكيـف كانـوا يصولـون ويجولـون عبثـاً وطغيانـاً وتجبـراً علـى بعضهـم البعـض.

الرابـع: [اللَّهُـمَّ إِنِّـي أَعُـوذُ بِـكَ... مِـنْ نَـارٍ تَـذَرُ الْعِظَـامَ رَمِيمـاً، وَ تَسـقِي أَهْلَهَـا حَمِيمـاً]، وهـذه النـار هـي صنـف أخـر عملهـا هـو إنهـا تحـرق بلهيبهـا بـدن أصحـاب النـار فـلا تـترك منـه الا فتـات العظـام، هـذا علـى مسـتوى العـذاب الخارجـي الجسـماني، أمـا علـى مسـتوى العـذاب الداخلـي فهـو إنهـا تسـقيهم مـن الحميـم الـذي يذيـب الاحشـاء نسـتجير بـالله تعالـى.

الخامـس: [اللَّهُـمَّ إِنِّـي أَعُـوذُ بِـكَ ... مِـنْ نَـارٍ لا تُبْقِـي عَلَـى مَـنْ تَضَـرَّعَ إِلَيْهَـا، وَ لا تَرْحَـمُ مَـنِ اسْـتَعْطَفَهَا، وَ لا تَقْـدِرُ عَلَـى التَّخْفِيـفِ عَمَّـنْ خَشَـعَ لَهَـا وَ اسْتَسْـلَمَ إِلَيْهَـا تَلْقَـى سُـكَّانَهَا بِأَحَـرِّ مَـا لَدَيْهَـا مِـنْ أَلِيـمِ النَّـكَالِ وَ شَـدِيدِ الْوَبَـالِ]، هنـا في هـذا الصنـف يشـير الإمـام(عليه السلام) الـى حقيقـة مؤلمـة أخـرى وهـي إنـه حتـى النـار في ذلـك العالـم

لا تقدر على أن تخفف عن اصحابها العذاب كونها مأمورة لا أمرة، ومنفعلة لا فاعلة، بل وكأنها مشفقة ومتألمة على حال المتعذبين فيها، لما تراه فيهم من عجز وضعف في دفع ما هم به، الى درجة إنهم يسلمون اليها فلا تصدر منهم ردة فعل او محاولة بعد أن يأسوا من النجاة فهم حتى وإن يستغيثوا يغاثوا بعذاب أشد كما في قوله تعالى: ﴿... إِنَّا أَعْتَدْنا لِلظَّالِمِينَ ناراً أَحاطَ بِهِمْ سُرادِقُها وَ إِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرابُ وَ ساءَتْ مُرْتَفَقاً﴾ (الكهف:٢٩).

وفي هذه الفقرات إشارة الى حقيقة أخرى وهي إنهم حتى في تلك النار لم يكن خضوعهم وتضرعهم لخالقهم ولم يكن استعطافهم وتسليمهم لله تعالى، بل للمخلوق وهي النار وفي آية من الذكر الكريم تصف أحدى مشاهد ذلك اليوم بقوله تعالى: ﴿وَ قالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذابِ﴾(غافر:٤٩)، فالآية قالت على لسان حالهم(ربكم) وليس(ربنا) لكي ينجون من عذابها، فهم هم على عنادهم وجحودهم واستكبارهم حتى في ذلك الموقف، لذا هذه النار لم تبقي عليهم لأن تضرعهم لها لا لخالقها، وتخضعهم لها لا له (عز وجل).

بالنتيجة هذه الفقرات تصرح الى إنه كما إن الجنان مراتب وأصناف، كذلك نار جهنم هي كذلك، ولكن يبقى فيصل الفوز هو أن يحفظ من النار كل النار، كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَ إِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ وَمَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلاَّ

مَتاعُ الْغُرُورِ﴾(آل عمران: ١٨٥).

الوقفة الثانية: عبدٌ بين مقامين

الأول: مقام العائذ

هنا يذكر الإمام(عليه السلام) [**فَهَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ**]، فالمقام هنا المنزلة والمكانة التي يضع نفسه فيها وهي التعويذ اي طلب الحفظ والحصانة من الله تعالى من العدو، وذلك بقوله: [**وَ قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيَّ عَدُوُّكَ الَّذِي اسْتَنْظَرَكَ لِغَوَايَتِي فَأَنْظَرْتَهُ، وَ اسْتَمْهَلَكَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ لِإِضْلَالِي فَأَمْهَلْتَهُ، فَأَوْقَعَنِي**؛] فلأنك من أنظرته وامهلته فأمره وأمري بيدك، لذا [**وَقَدْ هَرَبْتُ إِلَيْكَ مِنْ صَغَائِرِ ذُنُوبٍ مُوبِقَةٍ، وَ كَبَائِرِ أَعْمَالٍ مُرْدِيَةٍ**]، فهي من عدوي الأول وهي نفسي الأمارة بالسوء، فإن لم تنصرني على نفسي امام صغائر الذنوب وكبائرها، ضعفت أمامها، وقوي عليها الشيطان فسهل عليه الاستحواذ عليها، وتمكن بذلك من الإيقاع بي.

فهو لا يريد صحبتي ولا اتباعي له، إنما يريد أن يحقق فيّ غوايته، ويشركني في ضلالته ليكن مصيرنا واحد، فما أن أعصيك وأفعل ما يوجب عليّ سخطك، وذلك بقولنا: [**حَتَّى إِذَا قَارَفْتُ مَعْصِيَتَكَ، وَاسْتَوْجَبْتُ بِسُوءِ سَعْيِي سَخْطَتَكَ، فَتَلَ عَنِّي عِذَارَ غَدْرِهِ، وَتَلَقَّانِي بِكَلِمَةِ كُفْرِهِ، وَتَوَلَّى الْبَرَاءَةَ مِنِّي، وَأَدْبَرَ مُوَلِّيًا عَنِّي**]، فتل اي لف الاعذار التي كان يبرر لي بها ما كان فعله يوجب سخط الله تعالى وقوله [عني]، وليس [عليّ] لانه قد حقق مراده مني وها قد اوقعني بحبال غدره، أما الآن فهو قد ذهب يبحث عن غيري ليلف عليه حبائل غدره

وفتنته، وها قد تنكرني وابتعد مولّياً عني متبرأ مني، والنتيجة [**فَأَصْحَرَنِي لِغَضَبِكَ فَرِيداً، وَ أَخْرَجَنِي إِلَى فِنَاءِ نَقِمَتِكَ طَرِيداً. لا شَفِيعٌ يَشْفَعُ لِي إِلَيْكَ، وَلا خَفِيرٌ يُؤْمِنُنِي عَلَيْكَ، وَلا حِصْنٌ يَحْجُبُنِي عَنْكَ، وَلا مَلاذٌ أَلْجَأُ إِلَيْهِ مِنْكَ**].

فالإمام (عليه السلام) هو ترجمان القرآن الكريم، فكما إن كتاب الله المنزل قد حذرنا من هذا العدو ونبهنا من خطورة اتباع خطواته بقوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ (البقرة:٢٠٢)، ووصف لنا كيف إنه في يوم القيامة سوف يتبرأ من أتباعه وأشياعه من الأنس كما في قوله تعالى: ﴿**وَقالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ ما كانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَ لُومُوا أَنْفُسَكُمْ ما أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَ ما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ**﴾ (ابراهيم:٢٢)، الإمام (عليه السلام) يبين لنا هذه الحقيقة وهي إنما هو الآن... الآن في عالم الدنيا يتبرأ منكم ويتخلى عنكم بمجرد أن يوقعكم في شباكه.

ثم يقول الإمام(عليه السلام): [**وَمَحَلُّ الْمُعْتَرِفِ لَكَ**]، المحل هو الموضع الذي يضع الإنسان نفسه فيه وهنا عبر عنه بالاعتراف، اما بماذا؟ فالإمام (عليه السلام) يعطينا الإجابة في نفس فقرات هذا الدعاء، وذلك بقولنا: [**اللَّهُمَّ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى خَفَايَا الْأَعْمَالِ عِلْمُكَ، وَانْكَشَفَ كُلُّ مَسْتُورٍ دُونَ خُبْرِكَ، وَلا تَنْطَوِي عَنْكَ دَقَائِقُ الْأُمُورِ، وَلا تَعْزُبُ عَنْكَ غَيِّبَاتُ السَّرَائِرِ**]، فهو سبحانه المطلع على السر والعلن، على الظاهر والباطن، على عظائم الإمور وصغائرها والدقيق منها.

وبعد مقدمة التعوذ والاعتراف يأتي النداء بطلب الغفران ب [وَاغْفِرْ لِي إِنَّكَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ]، والإمام (عليه السلام) هنا يورد لنا علامات الغافر وهي سعة فضله، وطول غفرانه، وتوفيقه للتائبين ليتوبوا وينالوا برد عفوه وغفرانه، وذلك بقولنا: **[فَلَا يَضِيقَنَّ عَنِّي فَضْلُكَ، وَلَا يَقْصُرَنَّ دُونِي عَفْوُكَ ، وَلَا أَكُنْ أَخْيَبَ عِبَادِكَ التَّائِبِينَ ، وَلَا أَقْنَطَ وُفُودِكَ الْآمِلِينَ]**، وهنا إشارة الى درس أخلاقي لنا مع غيرنا، فمن يريد أن يتخلق بخلق الله خير الغافرين فلتكون فيه هذه الثلاثة أن يوسع عليهم فسحة الأمل بالمسامحة والغفران، ويفتح لهم باب الغفران قبل أن يطرقوه، ويأخذ بأيديهم لينالوه، لتقليص دائرة المشاحنات والتباعد سواء بين الأخوان أو حتى في علاقتهم مع الرحمن.

الثاني: مقام الاستحياء والسخط والرضا

هنا يذكر الإمام (عليه السلام) عرض العبد حاله لمعبوده بتعبير [وهَذَا مَقَامُ ...] أي المنزلة والموقف الذي هو فيه والذي قد وضع نفسه فيه، ويذكر ثلاث اوصاف وكل وصف ناتج من مقدمات هو قد قدمها وها هو يعترف بها، هي:

الأول: [مَنِ اسْتَحْيَا لِنَفْسِهِ مِنْكَ]، أي أنا خجل لأجل ما اقترفت النفس من أفعال لا تليق بعبوديتها لك، ولعل من مصادق هذه الأفعال هي ما تقدمت من فقرات قبل عرض موقفه هذا، والتي هي بهذه العبائر التي أقر بها قائلاً : **[اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنِي فَتَرَكْتُ، وَ نَهَيْتَنِي فَرَكِبْتُ، وَ سَوَّلَ لِيَ الْخَطَاءَ خَاطِرُ السُّوءِ فَفَرَّطْتُ]**، فكيف لا يقدم صاحب هكذا نفس تركت

ما أمرت به موقف الاستحياء.

والإمام(عليه السلام) لم يعبر في العبارة التالية التي قال فيها **[وَنَهَيْتَنِي فَرَكِبْتُ]**، في تعامل النفس مع ما نهيت عنه بارتكابه بل قالت الفقرة [ركبت] أي ضربت نواهيك، خالفتها وجعلتها خلفي، فسرت بغير هداك، هو ممن اتخذ إلهه هواه في ارتكاب المنهي عنه، أما تعبير ركوب يعني انعدام الطاعة والامتثال عن المنهي عناداً وطغيانـاً.

اما العبارة الثالثة فهي **[وَسَوَّلَ لِيَ الْخَطَاءَ خَاطِرُ السُّوءِ فَفَرَّطْتُ]**، هنا يذكر الإمام(عليه السلام) الاستحياء من النفس المفرطة أي المضيعة لحظها بارتكاب الأخطاء، والضائعة بين خواطر السوء، فهي نفس لم تخرج من مرتبة النفس الأمارة بالسوء، ففكرها مشوه بالسوء وفعلها متلبس بارتكاب الأخطاء.

الثاني: [وَسَخِطَ عَلَيْهَا]، ومن علامات السخط على النفس -كما يبدوا- هي في هذه العبارات: **[وَلَا أَسْتَشْهِدُ عَلَى صِيَامِي نَهَاراً، وَلَا أَسْتَجِيرُ بِتَهَجُّدِي لَيْلاً، وَلَا تُثْنِي عَلَيَّ بِإِحْيَائِهَا سُنَّةٌ، حَاشَا فُرُوضِكَ الَّتِي مَنْ ضَيَّعَهَا هَلَكَ، وَلَسْتُ أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِفَضْلِ نَافِلَةٍ مَعَ كَثِيرِ مَا أَغْفَلْتُ مِنْ وَظَائِفِ فُرُوضِكَ، وَتَعَدَّيْتُ عَنْ مَقَامَاتِ حُدُودِكَ إِلَى حُرُمَاتٍ انْتَهَكْتُهَا، وَكَبَائِرِ ذُنُوبٍ اجْتَرَحْتُهَا]**، السخط على النفس يقابل عدم الرضا عنها، فلا صيام ولا تهجد ولا إحياء الفرائض هي موجبة لأن ارضا عن هذه النفس، فأركن اليها وأقدمها بين يديك، لتشهد لي او لتشفع لي بأني عبد مُحسن في عبوديته، ومستحق لنوال رضا معبوده، وإن كنت

وفقت بأدائها فهي بالنتيجة أعمال ثمرة تأديتها يعود لي لا لله تعالى.

الثالث: [وَرَضِيَ عَنْكَ]، وعلامة الرضا هي استشعار فضل الله تعالى المتجلي بستره، وذلك بقول: **[كَانَتْ عَافِيَتُكَ لِي مِنْ فَضَائِحِهَا سِتْراً]**. ثم يورد الإمام (عليه السلام) حال من موقفه الاستحياء والسخط على النفس والرضا عن ربها، بقوله (عليه السلام): **[فَتَلَقَّاكَ بِنَفْسٍ خَاشِعَةٍ، وَ رَقَبَةٍ خَاضِعَةٍ، وَ ظَهْرٍ مُثْقَلٍ مِنَ الْخَطَايَا، وَاقِفاً بَيْنَ الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ وَ الرَّهْبَةِ مِنْكَ]**.

فبعد الاستحياء من النفس سيحصل خشعت بالنفس، وخضوع، وإدراك لعظيم جناية هذه النفس وثقل ما حملت صاحبها بتعديها لمواضع حدود ربها وانتهاك حرماته واكتساب كبائر الذنوب، وكأن مفتاح تصحيح هذا الموقف وهذه الوقفة هو رؤية أثار ستر الله تعالى بأن عافاه من الفضيحة، لذا هو هنا يقف من جديد مع نفسه مع جميل صنع الله تعالى به ليعيش الرغبة بالعود الى ربه، ويعيش الرهبة التي تجعله حذراً من الفضيحة واحتمالية انكشاف سره، إذا ما أستمر على ما هو عليه، نعم هو سبحانه سريع الرضا وواسع الرحمة لكن شديد العقاب لمن مال فعاد متبعاً هواه مرة أخرى دون أن يجدد الإنابة والتوبة.

كما وإن من اسباب تقديم الرغبة على الرهبة هي إن الإنسان عادة بين رغبتين: رغبة [الى] الله تعالى وطاعته، ورغبة [عن] الله تعالى [الى] معصيته، فمن تحققت فيه الرغبة الى الله تعالى جد في المسير وسعى بصدق الى التغيير، ولضمان الاستقامة لابد من تحصين النفس وهذه الحصانة توجدها الرهبة من

الله تعالى، لذا -كما يبدوا- تلت الرغبة الرهبة.

اما المفتاح الثاني فهو هذا النداء [إِنَّكَ أَكْرَمُ الْمَسْئُولِينَ]، الإمام (عليه السلام) هنا يعطينا ثلاث صفات يتصف بها كل من يملك دور المسؤول إن راد أن يتخلق بأخلاق الله تعالى الذي هو اكرم المسؤولين، وهي (المَرجو، المَخشي، المُتَقْى)، وذلك في هذه العبارات التي نرددها: [**وَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ رَجَاهُ، وَأَحَقُّ مَنْ خَشِيَهُ وَ اتَّقَاهُ**]، فمن يكون مسؤول عن شخص يعني هو من يتولى شؤونه وتدبير أموره، فبلا شك هو أكثر من يرتجى منه الخير والرعاية والإكرام، ولأنه الولي وصاحب القرار عمن هو مسؤول عنه هو ممن له احترامه وهيبته فيخشى ويتقى، وهذه صفات ثلاثة لابد أن تتحقق في كل مسؤول ليكون ناجحاً في اداء دوره مُنجحاً لمن تولى شؤونه.

فلكي نكون عباداً صالحين مفلحين لنا نصيب من ولاية الله وتوليه لأمورنا لابد أن نكون في حالة رجاء وحسن ظن ويقين بكل مقادير الله تعالى الجارية فينا فهو لا يجري فينا من قضائه إلا بما هو نابع من كرمه ولطفه، وأن نكون من أهل الخشية والتقوى، والخشية هي الخوف من المخشي منه ذاتاً، أي ذلك الخوف الذي يصدر من خواص خلق الله تعالى الذي عبر كتاب الله عنهم بالعلماء، كما في قوله تعالى: ﴿**وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾ (فاطر:٢٨).

أي هو الخوف النابع من معرفة عظمة وقدرة وهيمنة وعلم المُخاف منه، فهو يمتثل وينتهي لان الله تعالى اهل للخضوع والطاعة له لا التمرد والعصيان،

لـذا أهـل الخشـية ممـن رضـا عنهـم ربهـم، ورضـوا هـم عـن ربهـم، كمـا في قولـه تعالـى: ﴿رَّضِيَ اللَّـهُ عَنْهُـمْ وَرَضُـوا عَنْـهُ ذَٰلِـكَ لِـمَنْ خَشِـيَ رَبَّـهُ﴾ [البينـة: ٧، ٨].

أمـا التقـوى فهـي الخـوف النابـع مـن وعيـد المُتَقـى وفِعلـه الـذي هـو عقـاب إن كان غيـر متقـي لنواهيـه وعـدم الامتثـال لأوامـره، نعـم هـو يخـاف لأن الله تعالـى أهـل التقـوى أي الرقيـب الحسـيب الـذي لا تخفـى عنـه خافيـة، لـذا هـو يخـاف علـم الله تعالـى بحالـه ومـا سـيصدر منـه علـى أثـر ذلـك مـن عقـاب وعـذاب.

وهـذه المقدمـات الثلاثـة توجـب امـور ثلاثـة، فالرجـاء موجـب لنيـل العطـاء، بقولنـا: [**فَأَعْطِنِـي يَـا رَبِّ مَـا رَجَـوْتُ**].

والخشـية موجبـة للأمـن ممـا يخـاف ويحـذر، وذلـك بقولنـا: [وَآمِنِّـي مَـا حَـذِرْتُ].

والتقـوى موجبـة لنيـل عوائـد رحمـة الله تعالـى عليـه ذلـك بقولنـا: [**وَعُـدْ عَلَـيَّ بِعَائِـدَةِ رَحْمَتِـكَ**].

في دعائه (عليه السلام) في الالحاح بالدعاء

مقدمة: هل الالحاح بالدعاء ينافي الإيمان بسرعة اجابة الله لنا؟

واحـدة مـن الإشـكالات والشـبه التـي يطرحهـا البعـض فيمـا يخـص علاقـة الإنسـان بربـه مـن خـلال الدعـاء، هـي إن الإلحـاح في الدعـاء أمـر يعكـس أن هـذا الداعـي لـم يصـل إلـى اليقيـن بسـرعة إجابـة الله تعالـى لدعواتـه، أو سـماعه لدعواتـه مـن المـرة الأولـى، مبرريـن ذلـك بقولهـم: أ ليـس هـو أسـمع السـامعين، ويعلـم بمـا

نريد قبل أن نتكلم، إذن يكفي أن نطلب مرة واحدة وبكلمات قليلة، فنحن لا نحتاج حتى الى أدعية طويلة؟

وللإجابة على هذا الإشكال نقول: إن ظاهر هذا الكلام جميل وسليم، ولكن في باطنه انحراف فكري وعقائدي- إن صح التعبير- قد يوجب تحقق خلل في علاقة الداعي مع ربه، وثغرة في مظهر من أهم مظاهر التعبد، بل ورد عن النبي (ﷺ): [الدعاء مخ العبادة][1]، فهذا كاشف عن عظمة واهمية الدعاء في حياتنا كعباد، ودوره الأساسي في بناء شخصيتنا الايمانية، بالنتيجة الإكثار منه، والكون من الداعين الملحين هو أمر ممدوح وليس مذموم، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فيمكن أن نجمل فوائد الإلحاح بالدعاء بأنه من مواطن نفي التكبير من النفس، بل فيها جنبة من جنبات إظهار التواضع والخضوع للمعبود، كما أن الإلحاح كاشف عن خلوص نية الداعي وصدق يقينه أنه واقف على أعتاب باب رب لن يخيبه ولن يرده، بل وليس هناك باب أخر يطرقه لينال من خلاله تلك الطلبات.

وبعد هذه المقدمة يمكن أن نصل الى الإجابة الشافية عن هذا الاشكال وذلك من خلال التأمل في دعاء الإمام السجاد(عليه السلام) فيما يخص الإلحاح بالدعاء، إذ نجد أنه أبتدأ بـ [**يَا اللهُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ ولا فِي السَّمَاءِ**]، إذ عادة ما تبدأ الأدعية بـ(يا الهي، يا رب، يا ربي) هذه النداءات الرقيقة التي تتحدث عن رب ومربوب، بين محتاج ومعطي، بين سائل وكريم،

١- بحار الأنوار: ج ٩٠، ص ٣٠٠.

لكن مجيء لفظ الجلالة هكذا وبشكل مستقل فيه إظهار لعلاقة العبد بالخالق، لعلاقة الموحد بالصمد، أي نحن نتحدث عن جنبة التعظيم لجلال الله تعالى، لا التوسل به بصفاته الجمالية. وهذا ما اشرنا إليه في أن الإلحاح في الدعاء من غاياته الأولى هو إنماء هذا الجانب من التوحيد لله تعالى في قلب الموحد.

بل أن تكملة الفقرة كأن فيها إجابة لما قيل في شأن أن الإلحاح ينافي إيماننا بسماع الله تعالى لدعواتنا، فهنا نحن نربي النفس بالإلحاح على حاجتنا والتضرع لله تعالى مع كامل إيماننا إنه لا يخفى عليه شيء وهو أسمع السامعين لان هذا وجه من أوجه إظهار العبودية له عز وجل.

الوقفة الاولى: اعترافات على هيئة تساؤلات واجوبة

أربع تساؤلات تتبعها أربع أجوبة ننزه بها إلهنا من إنه محتاج الى أن نلح عليه بالدعاء حتى يجيبنا، بل نحن نلح لأننا نحتاج ذلك تنزيه له من أي شريك يمكن أن تلتجئ إليه النفس، نطيل الوقوف بباب الملك، لنتذوق القرب بباب المحبوب، و نتحسس الكرامة بباب المنعم الكريم المتفضل.

وأول تساؤل نوجهه لأنفسنا هو: أليس هو الخالق والصانع لنا فكيف يخفى عليه ما هو خالق وما هو صانع؟! بقول: [**وكَيْفَ يَخْفَى عَلَيْكَ يَا إِلَهِي مَا أَنْتَ خَلَقْتَهُ، وكَيْفَ لا تُحْصِي مَا أَنْتَ صَنَعْتَهُ**]، لنجيب على أنفسنا بتنزيه من فكرة إننا نلح لاحتمال خفاء دعائنا عنه، بقول: [**سُبْحَانَكَ أَخْشَى خَلْقِكَ لَكَ أَعْلَمُهُمْ بِكَ، وأَخْضَعُهُمْ لَكَ أَعْمَلُهُمْ بِطَاعَتِكَ، وأَهْوَنُهُمْ عَلَيْكَ مَنْ أَنْتَ تَرْزُقُهُ وهُوَ يَعْبُدُ**

غَيْرَكَ] أي إننا نلح لأننا نريد أن نكون من صنف عبادك العالمين بك.

ففي الإلحاح نظهر حقيقة خشوع وخضوع هذا القلب لخالقه وصانعه، وفي ذلك إظهار لطاعتنا له عز وجل لأنك أمرتنا بأن ندعوك فقلت: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ...**﴾(البقرة: ١٨٦)، فجعلت أمر الدعاء مطلق غير محدد بزمن أو مكان أو مدة، والإلحاح فيه إستمرارية بالدعاء حتى تأتي الاستجابة متى ما شئت.

فمن يدعوه ويذهب سريعًا هذا ممن لم يكن عبداً مؤدبًا بحضرة الرب الرازق وكأنه يظن إنه يمكن أن يحصل حاجاته وينال أرزاقه بالوقوف بباب آخر من أبواب خلقه!! فيتخذه بذلك شريك لك، فيكون عبداً هينًا غير ملتفت له لجهله وتجرأه، ونحن بالإلحاح لا نريد أن نكون هكذا في نظرك، بل نريد أن نكون من موحديك المنظورين المكرمين عندك.

وثاني تساؤل هو: [**أَوْ كَيْفَ يَغِيبُ عَنْكَ مَا أَنْتَ تُدَبِّرُهُ**]، بل نحن نلح ونقف عند بابك لأن بيدك تدبير وتنظيم كل أمورنا، فننزهك بقول: [**سُبْحَانَكَ لَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ أَشْرَكَ بِكَ وكَذَّبَ رُسُلَكَ، ولَيْسَ يَسْتَطِيعُ مَنْ كَرِهَ قَضَاءَكَ أَنْ يَرُدَّ أَمْرَكَ، ولَا يَمْتَنِعُ مِنْكَ مَنْ كَذَّبَ بِقُدْرَتِكَ، ولَا يَفُوتُكَ مَنْ عَبَدَ غَيْرَكَ، ولَا يُعَمَّرُ فِي الدُّنْيَا مَنْ كَرِهَ لِقَاءَكَ**].

أي أليس أنك المدبر لكل ما في هذا الكون، فنحن لا نلح في الدعاء خشية أن نغيب عن مشيئتك وتدبيرك، فمن يرى أنه قادر على أن يعتمد على فطنته وعقله وتخطيطه وما سخر له من قبلك بالأصل - وهو غافل عن ذلك فوق غفلته عن

مدبره!!- هذا ممن يرى أنه غير محتاج أن يكون عبداً لحوحاً مداوماً على الطلب منك، وإظهار احتياجه لهدايته وإرشاده في كل أمور حياته، فيُشرك بك باتخاذ إلهه هواه، غير عاملاً بما آتاه.

وهذا لا ينقص من حقيقة إنك السلطان والمدبر ونحن المملوكين المحتاجين لتدبيرك لنحيا الحياة الطيبة، بل المتضرر اولاً واخراً من يعتقد بذلك، لان الذي يتبع هواه ستكون أموره خلافاً لهدى الله تعالى ومقاديره الجارية عليه، وأقدار الله تعالى المتحققة فيه، وموعد انقضاء أجله في هذه الحياة، لذا فمن يكون لحوحاً في دعاءه لا يستنكف أو يتهاون بالدعاء، لن يكون ساخطاً على قضاء ربه، كارها للقاء ربه، بل العكس تماماً، وهذا وجه آخر من أوجه أهمية الإلحاح وأثره في حياة العبد.

أما التساؤل الثالث هو: كيف لعبد أن يعيش ويحيا دون أرزاق الله تعالى النازلة عليه في كل لحظة، وذلك بقولنا: [**أَوْ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْرُبَ مِنْكَ مَنْ لَا حَيَاةَ لَهُ إِلَّا بِرِزْقِكَ، واما تنزيهه في انفسنا فبقول: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنَكَ، وأَقْهَرَ سُلْطَانَكَ ، وأَشَدَّ قُوَّتَكَ ، وأَنْفَذَ أَمْرَكَ**]. فرزق الهواء لو أنقطع لنفس واحد لمات الإنسان وفقد حياته، فأهمية الإلحاح وأثره بهذا المستوى، وهنا العبد قد يطلب مرة واحدة لكن يكون كل وجوده خاضع ومتوجه ومتحسس لافتقاره الدائم لتفضل هذا الرب عليه، فهذا يُعد من أهل الإلحاح أيضاً. فالمسألة ليس دائماً بالكثرة وإنما بدوام الشعور والحالة الوجدانية في الاضطرار القلبي تجاه رب هذا القلب، وهذا ما يحقق عبوديتنا من خلال الدعاء.

أما السؤال الرابع هو: [**أَوْ كَيْفَ يَنْجُو مِنْكَ مَنْ لَا مَذْهَبَ لَهُ فِي غيْرِ مُلْكِكَ**]، أي كوننا في ملكك ومملكتك فهذا موجب للإلحاح من قبلنا، فلا مذهب لنا الى غيرك. وهنا في هذا التساؤل إرهاب للنفس من أن تميل للذهاب لمخلوق معها في مملكة الله تعالى ظناً منها أن بيدها قضاء حاجته أو حتى نجاته، بل لأننا في مملكته ولا نجاة لنا من محكمته في ذلك اليوم -الذي يكون له الملك كله.

فقد نغتر في الدنيا بمن يُملكُه تعالى شيء ويعطيه شيئاً من الجاه والوجاهة فيها فنركن إليه، نلوذ به، نطلب منه، نطيل في الوقوف على بابه بمعزل عن المالك الحقيقي. فهنا نيقظ النفس وننذرها، وذلك بالاعتراف بهذه الحقيقة اولاً بقولنا: [**سُبْحَانَكَ قَضَيْتَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ الْمَوْتَ، مَنْ وَحَّدَكَ ومَنْ كَفَرَ بِكَ، وكُلٌّ ذَائِقُ الْمَوْتِ، وكُلٌّ صَائِرٌ إِلَيْكَ**].

ثم بتنزيه هذا الرب والمالك والحاكم بالدخول في ولايته بقول: [فَتَبَارَكْتَ وتَعَالَيْتَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، آمَنْتُ بِكَ وصَدَّقْتُ رُسُلَكَ، وقَبِلْتُ كِتَابَكَ]، والاهم لتحصين النفس هو البراءة من كل من يكون خلاف ذلك، بقولنا: [**وكَفَرْتُ بِكُلِّ مَعْبُودٍ غَيْرِكَ، وبَرِئْتُ مِمَّنْ عَبَدَ سِوَاكَ**].

الوقفة الثانية: الملحين بالدعاء بين تنزيهين؟

ثم ينتقل الإمام(عليه السلام) بنا من تنزيه الخالق الى عدم تنزيه النفس التي نحتاج منها للإلحاح بالدعاء، وذلك بقولنا: [**اللَّهُمَّ إِنِّي أُصْبِحُ وأُمْسِي مُسْتَقِلًّا لِعَمَلِي، مُعْتَرِفاً بِذَنْبِي، مُقِرّاً بِخَطَايَايَ، أَنَا بِإِسْرَافِي عَلَى نَفْسِي ذَلِيلٌ، عَمَلِي أَهْلَكَنِي،**

وهَـوَايَ أَرْدَانِي، وشَـهَوَاتِي حَرَمَتْنِي].

فلكي يظهر العبد صدقه عليه الاعتراف والاقرار بيداه الخالية، وبالاعتراف بما ظهر عليه من آثار ذلك، يعني لسان حاله ومقاله يارب أنا مع اعترافي واقراري بقصوري وتقصيري وفراغ يدايَّ مما يوجب لي الشجاعة للوقوف بين يديك لأسألك فأنا لا طاعة ولا عمل لي ارجو به رضاك عملته، ولا أستوجب على آثره سماع سؤالي واقبالك عليَّ، لكن إبداء وإظهار ما أنا فيه، والاعتراف بما وصلتْ اليه نفسي لبعدي عنك نبهني أن أفر اليك مني، وأهرب من غضبك لرحمتك.

واعترافي بذلك نابع من إدراك واقعي واستشعار حقيقي لما أوصلت نفسي اليه، لذا فإني لا برح هذا الباب وسأضل أطرقه بالدعاء حتى تصلح لي شأني وتغير لي حالي بحسن حالك، وذلك بقولنا: **[أَنَا بِإِسْرَافِي عَلَى نَفْسِي ذَلِيلٌ، عَمَلِي أَهْلَكَنِي، وهَـوَايَ أَرْدَانِي، وشَـهَوَاتِي حَرَمَتْنِي]**.

كما إن الإمام(عليه السلام) يلفت انتباهنا الى حقيقة إن الإنسان المسرف على نفسه، المقل في عمله، التابع لأهوائه هو أحوج للإلحاح والوقوف لتعويض شيء من تقصيره، ولتربية النفس على التأدب واستشعار حضور الله تعالى في حياته، و دوام افتقاره واحتياجه لهذا الرب الرحيم الكريم.

فالبعض يقول: أنا لبعديّ وكثرة ذنوبي وتهاونيّ في حدود الله تعالى قد لا يجعلني حالي هذا مجاباً أو مسموعاً أو مقبولاً، وهو بذلك كمن يعتمد على ما فيه من صلاح أو طاعة وإحسان إذا ما طرق باب الله تعالى، نعم هو حتماً

سيكون أقدر على أن يطلب وينال بذلك المطالب، لكن الإمام(عليه السلام) هنا يفتح باب أمل لمثل هذا الصنف من الناس بأن لا ييأس ولكن عليه طرق هذا السبيل ألا وهو أن يكون من الملحين، فليس الله تعالى رب المطيعين بل هو رب الجميع، يجيب دعوة الجميع، إذ أن الإقرار موجب للأقبال على باب الله تعالى ومن ثم الاستقرار في جنب الله تعالى والاطمئنان بالإجابة.

الوقفة الثالثة: تساؤلات الملحين ما هي؟

الإمام(عليه السلام) يورد مجموعة من الدعوات التي لو اقر بها العبد بينه وبين ربه لعُد من الملحين ولو سأل ربه بها مرة واحدة:

السؤال الاول: [فَأَسْأَلُكَ يَا مَوْلَايَ سُؤَالَ مَنْ نَفْسُهُ لَاهِيَةٌ لِطُولِ أَمَلِهِ، وبَدَنُهُ غَافِلٌ لِسُكُونِ عُرُوقِهِ، وقَلْبُهُ مَفْتُونٌ بِكَثْرَةِ النِّعَمِ عَلَيْهِ، وفِكْرُهُ قَلِيلٌ لِمَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ]. نعم من أمله يطول في هذه الدنيا، تنشغل نفسه بها وتعيش بالهو واللعب، ومن يعيش سلامة في جوارحه تراه يعصيه بها غافلاً عن وجوب شكره بطاعته بها، ومن تتوالى عليه نعمائه يفتتن فيها فترى قلبه متوجهاً مشغولاً بها لا برب هذه النعم، فمن يكون مشغول القلب والقالب بالدنيا كيف له أن يجد للآخرة في فكره نصيب؟! لذا مثل هذا العبد هو الأحوج للفرار إليه ليس داعياً بل ملحاً مضطراً بالدعاء لتُيقظ قلبه، وتنير فكره.

السؤال الثاني: [سُؤَالَ مَنْ قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْأَمَلُ، وفَتَنَهُ الْهَوَى، واسْتَمْكَنَتْ مِنْهُ الدُّنْيَا، وأَظَلَّهُ الْأَجَلُ]. هنا السؤال أقرب لمضامين السؤال الأول، لكن الحال الذي يوصف به مثل هذا العبد احوج، إذ أن غلبة الامل أشد من أن يطول الأمل فقط، وفتنة الهوى وتمكن الدنيا منه أشد من فتنة النعم، وهنا ليس فكره قليل فيما هو صائر إليه في تلك الحياة الأخرة.

بل هنا عبر الإمام(عليه السلام) **[وأَظَلَّهُ الْأَجَلُ]** يعني أجله أصبح قريب الى درجة قرب الظل من صاحبه، هكذا هو قريب من سوء العاقبة والخاتمة، فكيف يجب أن يكون الحاح هكذا عبد؟ وكيف لابد أن يكون احتياجه للطف الله تعالى كي لا يغادر الدنيا وهو بهكذا حال؟!

السؤال الثالث: [سُؤَالَ مَنِ اسْتَكْثَرَ ذُنُوبَهُ، واعْتَرَفَ بِخَطِيئَتِهِ]. هنا يذكر لنا الإمام(عليه السلام) حال أخر لعبد ليس فقط لديه ذنوب كثيرة، بل مهما كانتْ ذنوبه قليلة أو كثيرة هو يراها كثيرة لأنه ينظر لمن عصى لا لما اقترف من عصيان، فهو معترف مقر بأخطائه، مهما كان محسن ومطيع لكنه يبقى محتاج لعفو ربه وغفرانه وستره، فكيف لا يكون عبداً لحوحاً!

السؤال الرابع: [سُؤَالَ مَنْ لا رَبَّ لَهُ غَيْرُكَ، ولا وَلِيَّ لَهُ دُونَكَ، ولا مُنْقِذَ لَهُ مِنْكَ، ولا مَلْجَأَ لَهُ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ]. هنا عدنا لسؤال التوحيد لكن ليس الخالقي بل الربوبي أي أنا أسأل والح بالدعاء على من لا مربي لي غيره، ولا والي

يتدبر شئوني سواه، ولا منجي لي منه الا إياه، فهنا في هذا السؤال يذكر ثلاث مراتب من مراتب الولاية الإلهية للعبد التي هي لو انقطعت أو حرم من واحدة منها لهلك، فهو محتاج إليه في بدايته لنمائه وفي استمراريته في حياته وفي خاتمته لنجاته، فكيف لا يلح مثل هكذا محتاج الى هكذا معطي.

الوقفة الرابعة: طلبات الختام

وفي الختام يسال العبد هنا ليس سؤال التنزيه أو الاعتراف بل سؤال التعظيم وسؤال تقديم الطلبات، بقوله(عليه السلام):

[إِلَهِي أَسْأَلُكَ بِحَقِّكَ الْوَاجِبِ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِكَ، فهنا يسال بحق واجب الوجود الذي كتب على نفسه الرحمة بهم، وبِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الَّذِي أَمَرْتَ رَسُولَكَ أَنْ يُسَبِّحَكَ بِهِ، هنا يساله بأسمائه الجمالية والطافه الخفية، وبِجَلَالِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ الَّذِي لَا يَبْلَى ولَا يَتَغَيَّرُ ولَا يَحُولُ، ولَا يَفْنَى، وهنا بأسمائه الجلالية وحكمته ومجده البهي،]

وبعد قول(عليه السلام): **[أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ]**، فبعد الصلوات -التي هي سر استجابة الدعوات كما أشرنا لذلك - تأتي الحاجة/ الطلبة الأولى ألا وهي [العبادة]، فكما أوجب تعالى على نفسه الرحمة فقد أوجب في قبالها على خلقه العبادة، وذلك بقولنا **[وأَنْ تُغْنِيَنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ بِعِبَادَتِكَ]**.

أما الطلبة الثانية فهي في قبال القسم باسمه الاعظم وذلك بقولنا: [وأَنْ تُسَلِّيَ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا بِمَخَافَتِكَ]، أليس هذا هو اللطف بعينه أن يكون الخوف تسلية النفس، كيف لا! والمتأمل بثمار الخوف يذق حلاوته، ومن يذق حلاوته فقد

ذاق حبه وقربه، فكيف لا تسلى أي تنشغل هكذا نفس برب الدنيا عن الدنيا بعد ذلك، فالخوف يعني تجنب كل مبعد والانجذاب لكل مقرب إليه سبحانه.

أما الطلب الثالث فهو بقولنا: [**وأَنْ تُثْنِيَنِي بِالْكَثِيرِ مِنْ كَرَامَتِكَ بِرَحْمَتِكَ**]، وهو واقع في قبال للقسم بجلال وجه الله الكريم الدائم الباقي في إنزال فيضه وعطاياه على غير المستحق فكيف بمن طرق الباب وسال، فهو أحق بأن يكرمه بل ويضاعف له بالعطية.

وختام الإلحاح بإلحاح كان بهذه الفقرات:

[**فَإِلَيْكَ أَفِرُّ**]، لا منك لأنك الموطن.

[**ومِنْكَ أَخَافُ**]، لا من سواك لأنك المأمن.

[**وبِكَ أَسْتَغِيثُ**]، لأنك المغيث.

[**وإِيَّاكَ أَرْجُو**]، لأنكَ تخيب

[**ولَكَ أَدْعُو**]، فأنت المجيب.

[**وإِلَيْكَ أَلْجَأُ**]، لا لأي احد فانت الحامي.

[**وبِكَ أَثِقُ**]، فأنت المنقذ.

[**وإِيَّاكَ أَسْتَعِينُ**]، فأنت المدبر.

[وبِكَ أُومِنُ]، فأنت الأمان.

[**وعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ**]، لا على غيرك فأنت الحسيب.

[**وعَلَى جُودِكَ وكَرَمِكَ أَتَّكِلُ**]، لانك الكافي.

في دعائه (عليه السلام) إذا استقلت به الذنوب

مقدمة: من علاماتِ قبولِ التائبين

هل رأيتَ مُحِبـًا أغضبَ محبوبَه فعاش بعدها هانئـًا سعيداً؟

أم هل رأيت صاحبـًا أخطأ في حقٍّ صاحبه فتمكّن من مواصلةِ طريقه (بذات البهجة!)؟

أم هل رأيتَ طالبـًا عصا مُرشدَه، فبقيَ بروح مستقيمة؟

أم هل رأيت مريضـًا خالفَ طبيبَه فحافظَ على بدنِه سليمـًا؟

بلا شك، كلا!

ولنا أن نتخيلَ كم أنّ حياة ذلك الشخص ستطيبُ، والبسمة على مُحيّاه ستتجدّدُ، والحيوية في روحِه ستتولّدُ إذا ما عفا عنه المحبوبُ، وسامحَه الصاحبُ، ورضيَ عنه المرشدُ، وقوّمَه الطبيبُ.

وهكذا -بلا مُقايسة- فإنّ الإنسان الذي يتجاوز حدود ربِّه، ويقع في مواطن غضبه وعصيانه ومخالفته، هو بفطرته يسعى للعودة، وبذات الوقت يبقى هناك في داخله هاجسٌ يريدُ أنْ يعرفَ هل أنَّ الربَّ الجليلَ قبلَ توبته أم لا؟

وعن سؤال هذا الشخص وأمثاله يُجيبُ إمامُنا زينُ العابدين (عليه السلام) في (دعائه إذا استقال من الذنوب)[١]، مُبينـًا أنّ لقبول التوبة علاماتٍ ودلالاتٍ تحصل في النفس، وبشاراتٍ ذات أثرٍ تكشفُ عن صدق قرار التائب في رجوعه لربِّه وتوبته النصوحة والتي منها ما ورد في قوله (عليه السلام): «وَأَذِقْنِي حَلاَوَةَ الْمَغْفِرَةِ»، فهُنا يجدُ

١- الصحيفة السجادية: ص ٧٠.

التائبُ حلاوةً معنويةً يتذوّق بها طعم محبة الله (تعالى)، وجمالَ حقيقة ستر الله (تعالى) عليه.

وفي قوله (عليه السلام): «وَاجْعَلْنِي طَلِيقَ عَفْوِكَ»، هنا علامةٌ أخرى وهي حصول حالةٍ من التحرُّر من ذلك الذنب كمن لم يذنب من قبل، فيُنسِيه إيّاه، وينسي الملائكة ما ارتكبه، فلا يعيش شعور الخجل والأسف المُثبِّط الذي يعيقه عن مواصلة في السير إلى الله (تعالى).

وقوله (عليه السلام): «وَعَتِيقَ رَحْمَتِكَ»، فالعتق هنا -كما يبدو- عدم الميول مرّةً أخرى للرجوع لذلك الجرم، وذلك بالعيش في طريق رحمة الرحمان بعيداً عن أجواء وخطوات الشيطان.

وقوله (عليه السلام): «**وَبَشِّرْنِي بِذلِكَ فِي الْعَاجِلِ دُونَ الآجِلِ بُشْرى أَعْرِفُهَا، وَعَرِّفْنِي فِيهِ عَلاَمَةً أَتَبَيَّنُهَا إِنَّ ذلِكَ لاَ يَضِيقُ عَلَيْكَ فِي وُسْعِكَ**»، فالتائبُ الحقيقي لابُدّ أنْ يرى البشاراتِ، يرى أثرَها في واقعِه الحياتي الآن، قبل الجزاء الأخروي، وتتبيّنُ له العلاماتُ، كأن يحصل على التحصين، ويبلغ التوفيقَ بعدَ حصولِ الخُذلان، ويلهم سُبلَ التصحيحِ والتيسيرِ بعدَ التعثُرِ في نفس المسار.

من دعائه(عليه السلام) في طلب مكارم الأخلاق

مقدمة:

يصف أحد الأفاضل أدعية الإمام السجاد(عليه السلام) بأنها « صيدلية القلوب «، فهي بالإضافة لقيمتها «ككلمات» ندعو بها الله تعالى ونتقرب اليه بها، لها قيمة «معرفية» كبيرة لنا لما تحمله من مضامين عالية بعلو درجة معرفة قائلها بربه، وبالنفس الانسانية.

والمتأمل بها يجد إنها الترياق لكل داء، وللمتداوي بها يجد فيها الشفاء من أمراضه القلبية والنفسية على حداً سواء.

التقوى هي الترياق المجرب

ومن هذه الادوية هي ما نقرأه في فقرات من دعاء مكارم الاخلاق المنسوب إلى إمامنا السجاد(عليه السلام)، وهي فقرات يُعلمنا بها كيف علينا أن نسعى ونطلب من الله تعالى أن نتحلى بما تحلى به الصالحون ونتزين بما تزين به المتقون بقول: [**وَحَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وَأَلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ، فِي بَسْطِ الْعَدْلِ، وَكَظْمِ الغَيْظِ، وَإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ،...**].

فكما يُذكر» إن الزينة أخص من التحلية، والتقوى أخص من الصلاح»، لذا فإن اختيار العبائر كان من إمامنا السجاد(عليه السلام) دقيقاً ومطابقا لما أتى به كتاب الله بقوله:﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ**﴾(الأعراف:٢٦).

فكما إن للبدن لباس ظاهري/ مادي يستره ويزينه، فللنفس لباس باطني/ معنوي يزينها ويسترها.

ومن هنا نفهم قول الإمام علي (عليه السلام): [إن تقوى الله دواء داء قلوبكم،...، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم،...][١]

فهناك داخل النفس ثورة قائمة وصراع لا يتوقف بين الخير والشر، وبين السعي لإظهار الفضائل، وبين صراع لطمسها وإبداء ما هو خلافها، فعن النبي(صلى الله عليه وآله): [أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك].[٢]

وفي حدود ما افهم لو دققنا في تسلسل العبائر في دعاء الإمام(عليه السلام) أن [**كظم الغيظ**] توسط بين عبارتين هما [بسط العدل] و [إطفاء النائرة]، وكأن [**بسط العدل**] هو مقدمة لتحقق [كظم الغيظ] فتعالى يقول في محكم كتابه: ﴿**وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً**﴾ (الاسراء: ٢٩).

فاليد -كما هو معروف- هي كناية عن مفهوم [العطاء] أي إن يكون الإنسان متزناً في عطائه فلا يكون من أهل الإسراف فيعطي كل ما يملك، ولا يكون شحيحا فيبخل فلا يبادر بالعطاء قط.

وهناك معنى آخر يمكن أن نفهمه من اليد وهو «القدرة»، فالإنسان الذي يجد في نفسه المكنة والقدرة وبتالي يكون ذو قوة فيكون مصداق لهذه الآية

١- نهج البلاغة: الخطبة ١٨٩.
٢- ميزان الحكمة: ج ٣، ص ١٨٤٨.

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى*أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾(العلق: ٧-٦)، لذا فمن لديه نفس متزنة ولها ملكة العدل، هي لن تطغوا ولن تظلم ولن تعتدي او تتعدى حدودها مع من هو أضعف منها او تذل امام من هو أقوى منها، بل تبقى متزنة عزيزة مكرمة عند الاعلى والادنى، وفي تعاملها متسمة بالتواضع لا الضعة، فالتقوى هي خير دواء وعلاج للنفس في هكذا موضع.

هذا وقد قيل إن [الكظم] مأخوذ من كلمة عربية وهي [**كظم القربة**] أي شدها بإحكام بعد ملئها بالماء، لكي لا يُسمح بخروج شيء من الماء منها.

و [**الغيظ**] هو أشد مراتب الغضب ودرجاته، لذا فكظم الغيظ يمكن أن نعبر عنه بأنه: ضبط وإحكام النفس بعد امتلائها بالغضب فلا يظهر منه شيء.

فهي بالنتيجة كما قال رسول اللهِ (ﷺ) أنه قال: [**مَن كَظَمَ غَيظًا مَلَأَ اللهُ جَوفَهُ إيمانًا**][1]. أي أمانًا وسلامًا فيخلو باطنه من الغضب فيملأ بالحلم، فتسلم سريرته وتصلح.

ففي الفقرة التي بعدها من الدعاء يُبين الإمام(عليه السلام) وجود ثمرة ومرتبة اعلى يتحلى بها الصالح من عباد الله والمتقي كاظم الغيظ، وهي التي عبر عنها الإمام ب [إطفاء النائرة]، فهو-أي كاظم الغيظ- لا يكتفي لنفسه بأن يكون ذو نفس ساكنة ومسالمة ومطمئنة، لا غيض ولا عداوة فيها على العدو قبل الصاحب! وإنما هو يبادر ببسط العدل وإطفاء جذوة نار الغضب في نفس المقابل، فيكون بذلك مصداق لقوله تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ

١- بحار الأنوار: ج٤٤، ص٣٨٢، ح٦٦.

﴿الْمُحْسِنِينَ﴾(آل عمران:١٣٤).

فالنفوس مهما كانت معادية وقد غلبت عليها القوة الغضبية واشتعلت فيها نيران الكراهية، إذا ما قوبلت بالصفح والعفو والاحسان، فهي ستُذعن وتتراجع وتسكن، وضميرها وفطرتها تتحرك بالود والسلم تجاه المقابل- فكما ورد- إن النفس جبلت على حب من يحسن إليها.

ومن هنا نعلم إن من أهم الدروس المعرفية التي يريد الإمام(عليه السلام) أن يوصله لنا عبر هذه الفقرات هو: لا تكتفي بإن لا ترد الإساءة والعداوة بالمثل، بل قابل الاخر بالإحسان، ولا تكتم له ما أبداه فتكون ممن ثقب لباسه المعنوي الذي وقاه من العداوة والبغضاء، بما لا يليق بقلب يحمل نور الموالاة لساداته النجباء ممن تحلوا بحلية الصالحين وتزينوا بزينة المتقين، بل خذ بيده كما فعلوا هم؛ فالمعادي والمبغض ما هو إلا مريض يحترق بنار نفسه الامارة بالسوء، وغضبه المتوقد بالحسد والحقد، فيطفئها بنور تقواه التي اقتبسها من نور أئمته الأطهار (عليهم السلام).

على مائدة دعاء السحر أبي حمزة الثمالي

مقدمة: دعاء لكنه مشروع بناء ذات الداعي

إن شهر رمضان -كما يُعبرون- هو «المرآة التي نرى من خلالها وجوه قلوبنا»، وهذه المرآة هي عبارة عن محطات متنوعة وفي أوقات مختلفة يَطل بها الإنسان على معبوده ليرى حقيقة نفسه، ويكتشف بها قابليته وحقيقة عبوديته له،

ومن هذه المحطات هي محطة السحر التي يَمضيها المؤمن بالدعاء والمناجاة والاستغفار والتسبيح والتفكر بحاله.

ومن أهم أدعية السحر هو «دعاء أبي حمزة الثمالي»[١] الذي نستطيع أن نقول: إنه مشروع كامل لإحداث التغيير في نفس الإنسان لما يَحمله من معارف ومعاني في كل فقراته التي تُري الإنسان وتكشف له حقيقة نفسه بما يمر به وسيمر به في رحلته في هذه الحياة، محطات تُعرفه إلى أين هو سائر؟ وهل هي وفق ما يُريد المحبوب أم خلاف ذلك؟.

وإحدى هذه المحطات هي فقرات تبين لنا «موانع قرب العبد من الرب» وذلك عبر فقرات متعددة، يُبين لنا بها إمامنا زين العابدين (عليه السلام) تلك المواطن التي تجعل العبد غير قريب من ربه كما في هذه الفقرات:

[اَللّهُمَّ!.. اِنّي كُلَّما قُلْتُ قَدْ تَهَيَّأتُ وَتَعَبَّأتُ وَقُمْتُ لِلصَّلاةِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَناجَيْتُكَ، اَلْقَيْتَ عَلَيَّ نُعاساً اِذا اَنَا صَلَّيْتُ، وَسَلَبْتَني مُناجاتِكَ اِذا اَنَا ناجَيْتُ.. مالي كُلَّما قُلْتُ قَدْ صَلَحَتْ سَريرَتي، وَقَرُبَ مِنْ مَجالِسِ التَّوّابينَ مَجْلِسي، عَرَضَتْ لي بَلِيَّةٌ اَزالَتْ قَدَمي، وَحالَتْ بَيْني وَبَيْنَ خِدْمَتِكَ؟!..].

فالصلاة هي من أهم الكواشف عن حقيقة علاقة الإنسان واتصاله بربه، فهي مرآة لعكس صفاء القلب وطهارته وخلوه من التعلق مما عدا الله سبحانه، حتى أن علماء الأخلاق يقولون: «إذا أردت أن تعرف ما هو الذي يشغل قلبك؟

١- بحار الأنوار: ج ٩٥، ص ٨٢.

فانظر ما هو الذي يرد في ذهنك عند الشروع بالصلاة، هل هي خواطر إلهية، أم غيرها من الخواطر الدنيوية...!».

لذا فتعظيم الله سبحانه في النفس، والتأدب بحضرته، بل واستشعار هيمنته وشهوده على كل أحوالنا موجب لتحقق الصلة، وصلاح السريرة، إذ يتحقق بذلك الاتصال بالرب القريب المتعال.

ثم يبدأ الإمام (عليه السلام) بإدراج الأسباب المؤدية لانقطاع هذه الصلة، وعدم صلاح السريرة أي أن يصبح إنسان ليس رباني بفقرات متعددة:

أول تساؤل يخط في الذهن عند ترديد هذه الفقرات:

[سَيِّدي لَعَلَّكَ عَنْ بابِكَ طَرَدْتَني، وَعَنْ خِدْمَتِكَ نَحَّيْتَني... اَوْ لَعَلَّكَ رَاَيْتَني مُسْتَخِفّاً بِحَقِّكَ؛ فَاَقْصَيْتَني... اَوْ لَعَلَّكَ رَاَيْتَني مُعْرِضاً عَنْكَ؛ فَقَلَيْتَني... اَوْ لَعَلَّكَ وَجَدْتَني في مَقامِ الْكاذِبينَ؛ فَرَفَضْتَني.. اَوْ لَعَلَّكَ رَاَيْتَني غَيْرَ شاكِرٍ لِنَعْمائِكَ؛ فَحَرَمْتَني...]

تُرى هل يطرد الله تعالى أحد ما واقفاً على بابه؟! أم إن الإنسان يغفل عن طرق باب ربه المفتوح دائماً بانتظاره؟! فوحده ممن يولي وجهه عن مولاه، لا ينال الوجاهة عند ربه المتعال!

فالطرد يتحقق بإعراض العبد عن أوامر سيده ومولاه، فالعبد هو يتولى طرد نفسه بنفسه لا إن الله تعالى يطرده حاشاه، فهو المقبل علينا على كل حال.

بلى! فالوقوف بباب الله تعالى يتطلب حضور قلبي فقد يعمل الإنسان عمل هو صالح وحَسن لكن بقلبٍ ساه غير ملتفت، فيكون البدن واقف عند الباب،

والقلب في غير مكان، فهذا قلب غير صادق في توجهه.

كذلك عدم وضع نِعم الله تعالى في محلها، فشكر النعم يكون بتسخيرها في ما خلقت لأجله، فمن ينظر بجارحة العين لما لا يجب وليس لما فيه تفكر واعتبار، الذي يسمع بجارحة الأذن للحرام لا ما فيه موعظة ونفع، الذي يسير بجارحة القدم فيما لا يرضي الله تعالى، هذه من موجبات الحرمان بأن يكون هذا العبد ممن يفد على باب المحبوب، لأنه طرق أبواب أخرى وسلك غير دروب.

ثم يذكر علة أخرى توجب البعد عن الله سبحانه بقول: [**اَوْ لَعَلَّكَ فَقَدْتَني مِنْ مَجالِسِ الْعُلَماءِ؛ فَخَذَلْتَني...**].

إذ إن من مظاهر ذكر الله وتذكره هو أن يقضي الإنسان وقته في مجالسة أهل العلم والفضل، فهذا يربي الإنسان على أن يبقي قلبه حيًا نيراً بنور العلم واليقظة فلا يتعرض للغفلة عن سيده ومولاه، إذ بعدم مجالسة العلماء يعني إنه للتواجد في مجالس أهل الجهل أقرب، وهذا هو عين الحرمان والخذلان؛ فيسلب توفيق التزود بالنور الالهي من مجالس أهل العلم، بل ويزداد الإنسان تسافلاً وغفلةً وجهلاً.

ومن الأسباب الأخرى بقوله: [**اَوْ لَعَلَّكَ رَاَيْتَني فِى الْغافِلِينَ؛ فَمِنْ رَحْمَتِكَ آيَسْتَني..**].

(اليأس من رحمة الله سبحانه) يا لها من نتيجة عظيمة الخطر، فتعالى نهانا عن اليأس من رحمته، فكم تعبير الإمام (عليه السلام) يدق جرس انذار لخطورة أن يرانا تعالى مع أهل الغفلة؟! حتى لا تضعف الروح شيئًا فشيئًا، فلا ترى أن في صاحبها أمل أن يرجع عما هو عليه لطريق الله تعالى، قلبه يُصاب برين فلا يرى أهل الخير، ولا يجد عنده القدرة بأن يكون فيهم ومنهم.

هكذا فإنه يصاب بحالة مَن تأخذه العزة بالإثم فيرى الحقائق معكوسة، فتارةً قد يعتز بمجالسة أهل الغفلة ويراهم هم أهل الخير والصلاح! ويستهجن أن يرى نفسه مع أهل الصلاح، فيموت ضميره فلا يملك فرصة وشجاعة بعد ذلك للعودة. وتارة أخرى قد يكون يأسه ما هو إلا خوفًا من الصد من أتباع الحق أنفسهم -وهذا يحصل بعض الأحيان- فييأس من إمكانية أن يُقبل بينهم من جديد، لكونه نُسب لأهل الغفلة فيما مضى.

ومن الأسباب ما ورد في هذه الفقرة: «**اَوْ لَعَلَّكَ رَاَيْتَني آلِفَ مَجالِسِ الْبَطّالينَ؛ فَبَيْني وَبَيْنَهُمْ خَلَّيْتَني...**».

كما ورد في مضامين الأحاديث إن الذي لا يشغل نفسه ووقته فيما فيه نفع وطاعة يُبتلى بأن تُسلب منه نعمة بركة الوقت والعمر فيرى نفسه بلا هدف، بلا جد وجهد وعمل وبالتالي بلا ثمر، من كسل إلى فراغ إلى الانشغال بما لا قيمة له من اللهو واللعب وبالتالي يكون بلا إنجاز، وهذا خذلان ما بعده خذلان!.

فالإنسان الواعي هو من يعرف وجهته وهدفه فلا يجالس أي أحد كان، ولا يضيع أوقاته وسِنِي عمره مع من لا هدف ووجهة له في هذه الحياة.

ومن الأسباب الأخرى قول: [**اَوْ لَعَلَّكَ لَمْ تُحِبَّ اَنْ تَسْمَعَ دُعائي؛ فَباعَدْتَني..**].

الله تعالى لا يرد دعوة ولا يخيب سائل إلا من أتاه بقلب ساهٍ أي غير متوجه، فصاحب هذا القلب يكون ممن أساء الأدب في حضرة سيده، فتعالى ينبه عباده أن اقصدني بأدب أيها الإنسان تنال كل المطالب.

ومن العلل الأخرى: «**وَ لَعَلَّكَ بِجُرْمي وَجَريرَتي؛ كافَيْتَني، اَوْ لَعَلَّكَ بِقِلَّةِ حَيائي مِنْكَ؛ جازَيْتَني...**».

إن الله تعالى من صفاته هو الإمهال لكن ليس الإهمال، فالتعرف على الله تعالى الرؤوف الرحيم الذي يُمهل عباده فقط، قد يُوجد في نفس الإنسان حالة من الاطمئنان الموجب لأن يتجرأ وينعدم فيه الحياء، فيرتكب ما فيه غضب مولاه، لذا فعلى الإنسان أن يكون ملتفت إلى أن مَن يعصيه كما إنه رحيم غفور فهو شديد وسريع العقاب لمن تجاوز حدود الامهال.

وختاماً لهذه المحطة الإمام(عليه السلام)يربينا بقوله: [**فَاِنْ عَفَوْتَ يا رَبِّ فَطالما عَفَوْتَ عَنِ الْمُذْنِبينَ قَبْلي، لاِنَّ كَرَمَكَ اَيْ رَبِّ يَجِلُّ عَنْ مُكافاتِ الْمُقَصِّرينَ**].

فالإمام يربي الإنسان أن لا يستغني عن استشعار كرم الله تعالى معه مع

قصوره وتقصيره لكي يعمل عمل الراجين، ليكون من المقبولين والمُقبلين فيتقرب تقرب المستشعرين لهيبة ربهم في أنفسهم، المطمئنين بحنانه ولطفه، وإقباله لمن سار إليه وطرق بابه، ولم يتوجه بقلبه لسواه.

كما ونقرأ في هذا الدعاء هذه الفقرات: [**أَنا لا أَنْسى أَيادِيكَ عِنْدِي، وَسَتْرَكَ عَلَيَّ فِي دارِ الدُّنْيا، سَيِّدِي أَخْرِجْ حُبَّ الدُّنْيا مِنْ قَلْبِي، وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَ المُصْطَفى وَآلِهِ خِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ**]، إذ تركز هذه الفقرات على ذكر مشاهد من قصة هذا الإنسان [العبد] المتوجه لمولاه، وعلى ماذا يجب أن يكون بناؤه وختامه.

فقصة أبينا آدم(عليه السلام) ابتدأت من تلك المعصية -بترك الأولى- إلى مقام العصمة، وهكذا فلكل منا قصته وبداياته، من ذلك الموقف الذي استشعرنا وقوف الله تعالى معنا وكيف منه أنقذنا، ومن ذلك الجرح الذي أصابنا من خذلان أهل المودة فغرس محله أملا فكان ضماداً لجراحاتنا، ومن تلك العثرة في السعي لبلوغ النجاح فمد لنا أياديه وتوفيقه فبلغنا مقصدنا، ومن تلك اللحظات التي وصلنا بها إلى مرحلة العجز فمد لنا معاجزه الخفية فحققنا مرادنا.

فتَذكرنا لتلك الأيادي بقول [**أَنا لا أَنْسى أَيادِيكَ عِنْدِي**] التي كانت تُرجِعنا كلما تَراجَعنا في المسير، هي من محفزات استمرارنا في الطاعة والسعي في بلوغ الثبات، لذا من المهم أن لا ننساها لأنها مفتاح لتتذكر ذلك الباب المفتوح لنا

دائما لنطرقه، فنستمد منها قوة للغد، ولنواصل المسير رغم مشقة هذا الدرب.

كما إن تذكرنا لأيادي الله تعالى وستره على معايبنا وعثراتنا بقول [**وَسَتْرَكَ عَلَيَّ فِي دارِ الدُّنْيا**] يجعل نفوسنا تعيش حالة الحياء منه سبحانه على الدوام، وتذوق طعم الحياة بقربه لشدة وسعة رحمته وتفضله علينا في أن جَملنا وستر منا كل قبيح، فلا نغتر بمحاسننا الظاهرة عندئذ، لأننا الأعرف بما فينا من معايب ونواقص، ولا نعيش الهوان لأن لنا هكذا إله ورب مُعز.

ثم بعد أن يُدرك العبد ويعترف بمنن وأفضال الله سبحانه عليه، يطلب منه أن يُعينه على إخراج حب الدنيا من قلبه بقول [سَيِّدِي أَخْرِجْ حُبَّ الدُّنْيا مِنْ قَلْبِي] فلحظة التذكر والاعتراف هي لحظة وجدانية ترطب قلب الداعي، ولكن الداعي الواعي هو الذي يستمد من هذه اللحظات بصيرة تعينه على الثبات في قادم اللحظات والساعات والأيام.

إذ إن استجابة طلب إخراج حب الدنيا من القلب سيقطع عنه كل ما يقطعه ويشغله عن تذكر مولاه سبحانه، وكأنه بذلك يطلب بعد أن ذاق حالة استشعار حضور الله تعالى في كل تفاصيل حياته، أن لا يشغله عن هذا الشعور شاغل، ولا يغنيه شيء عن رغبته بأن يعيشه حالة الاحتياج والافتقار الدائم، فيحيا في الدنيا ولكن لا ينشغل قلبه بحبها، لأن حبها أصل كل غفلة واحتجاب عنه سبحانه، كما ورد عن رسول الله (ﷺ) إنه قال: [**حب الدنيا أصل كل معصية وأول كل ذنب**][1].

١- ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٨٩٦.

فإن امتلئ قلب العبد الداعي بحب وذكر سيده ومولاه، واستجيب له طلب إخراج حب الدنيا من قلبه، هنا سيصل الى مقام سلامة القلب والاستقامة في النفس، عندئذ يحصل الترقي في الطلب بقول: [وَاجْمَعْ بَيْنِي وَبَيْنَ المُصْطَفى وَآلِهِ خِيَرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ]، فيدعو بأن يكون ختام حياته هي رفقة حبيب الله ورسوله المصطفى وآله الأطهار صلوات الله عليهم [**وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقًا**].

فهذا الفقرات كنموذج يوصلنا إلى أن أدعية السحر أهميتها تكمن في أنها ترسم للإنسان خريطة حياته، وتعينه على معرفة نفسه، وتوثق علاقته بربه، بشرط ألا يكون دعائه دعاء بقلب ساه بل يكون بوعي ليكون دعائه منير للقلب، ومصدر هداية يوصله للصراط الاقوم.

دعاؤه(عليه السلام) لخواتيم الخير

مقدمة: لنكن من الأخيار ونبلغ خواتيم الخير

مَنْ مِنا لا يريد أن يكون ختام كل لحظة، كل حركة، وكل عمل يقوم به الى خير، بلا شك! لا أحد. فكيف إن كان التفكير الى مستوى أبعد، والى تلك النهايات الأعظم، لشيء ليس بعده شيء، لا محاولة جديدة ولا فرصة تعويضية حميدة، حيث تختم الصحف ويجف القلم، حيث يَحين الأجل.

بلى هذا هو الأمر الأهم، والأشد رهبة، والذي نحن اليه أحوج في الاطمئنان إننا سنكون به على خير، وعابرين من هذه الدنيا ونحن على خير.

فهو على عظمته إلا إنه يبقى أمر خاضع الى قانون التراكم، فتراكم خطوات

الخير توصل بنتيجة قطعية الى خير نهاية.

ومن هنا يقدم لنا الإمام السجاد(عليه السلام) في هذا الدعاء[١] خريطة من أبتدأ بها وسار عليها فاز بخير الختام، وكان من عباد الله الأخيار وقد اختصرها بخطوات ثلاث هي (الذكر والشكر والطاعة)، وذلك بقوله: [**يا مَنْ ذِكْرُهُ شَرَفٌ لِلذَّاكِرِينَ، وَيَا مَنْ شُكْرُهُ فَوْزٌ لِلشَّاكِرِينَ، وَيَا مَنْ طَاعَتُهُ نَجَاةٌ لِلْمُطِيعِينَ**،].

فواحدة من أساليب الدعاء المعرفي الذي يعلمنا عليها الإمام هو إننا لا نردد الدعاء فقط كونه وارد من معصوم، بل يعطينا مفاتيح معرفية لما سنطلب، لنكون على مستوى من المعرفة بما نطلب، بأهمية ما نطلب، وعظم تأثير ما سنطلب على حياتنا، وهذا لطف خفي وكرم جلي من الله تعالى أودعه في حججه إلينا.

فالذكر شرف، والشكر فوز، والطاعة نجاة، أي أن الإنسان يحوز على الكرمة عند الله فيكون عبداً مُكرماً فهو كذات مكرم، وبالعطاء ينال من كرم الله تعالى، وهذا ما يوصله الى مقام الشكر، فيفوز بالشكر الالهي والفوز بدوام النعم وزيادتها، فإن استقر القلب على الذكر والنفس على الشكر، فلابد للجوارح أن تستقر على طاعة ربها، فتنجي صاحبها في الختام.

ثم يعلمنا(صلوات الله عليه) بلسان مقاله كيف نطلب هذه المقامات العبودية التي بها نحوز خاتمة الخير، فهنا الإمام(عليه السلام) أيضاً لا يكتفي بذكرها كطلب نطلبه منه تعالى بل يعلمنا كل مقام وضيفته وتأثيره أين يكون فينا، وكيف نعرف إننا قد أعطينا اياها، وقد أجيب دعائنا.

١- الصحيفة السجادية: ص ٧٥.

إذ بدء بذكر الصلاة على النبي واله، هذا الذكر الذي لا ترد بعده دعوة، بقوله: [صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ]، وهذه الدعوة أصلها طلبة واحدة هي [وَاشْغَلْ]، وهنا يورد الإمام عدة أمور سنتوقف عندها:

الوقفة الأولى: مفاتيح الاشتغال الى خير ختام

المفتاح الاول: [**وَاشْغَلْ قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ عَنْ كُلِّ ذِكْرٍ**]، فالمقياس في حياة الإنسان هو بما هو بالأصل منشغل، فكل انشغال معنوي يجعل وجود الإنسان المادي مشتغل به وفيه وله، لهذا الإمام(عليه السلام) يعلمنا أن نطلب التحكم بما يشغلنا روحياً ووجدانياً الذي هو عمل القلب، لهذا الإمام ابتدأ به، وأما مفتاحه فهو مقام الذكر والانشغال بالذكر الالهي، أي ألا يكون القلب غافلاً و ساهياً او ناسياً لربه.

والابتداء بمقام الذاكرين هو موافق لذكر المصداق الأول لما يجب أن يكون منشغل به القلب ليحقق حسن الختام؛ فالقلب اذا انشغل بذكر الله تعالى سلم وصلح.

المفتاح الثاني: [**-وَاشْغَلْ -أَلْسِنَتَنَا بِشُكْرِكَ عَنْ كُلِّ شُكْرٍ**]، هنا الإمام(عليه السلام) يضع جارحة اللسان للقيام بالشكر، فالإنسان ذو القلب المنشغل بالذكر سيشتغل لسانه بالشكر، لأنه سيرى بمرآة القلب كل انعم الله تعالى والطافه عليه واضحة، فلا جارحة اخرى يمكن أن تعبر في ميدان العمل القولي بالشكر الا اللسان، وإلا فان بقية الجوارح تشكر لكنها تشكر بالفعل، ولعل ذلك وجه من اوجه افراد

اللسان عن بقية الجوارح فيما يتوجب عليها الانشغال به.

المفتاح الثالث: [-وَاشْغَلْ - جَوَارِحَنَا بِطَاعَتِكَ عَنْ كُلِّ طَاعَةٍ]، هنا يضع الإمام(عليه السلام) مقام الطاعة والانشغال بها على كل الجوارح، فاللسان هنا هو مشمول ايضاً، فالقلب هو القائد المُسيِّر للجنود التي هي الجوارح، فإن كان القائد منشغل بالذكر حتماً سيوجه جنوده لطاعة ما هو منشغل بذكره وتعظيمه وطاعته، وابعادهم عن الميل لكل ما يوجب سخطه وعصيانه وغضبه، وهكذا يضمن صاحب هذا القلب وهذه الجوارح أن كل اوقاته بذكر الله معمورة وجوارحه بخدمة ربها مداومة.

كما إن تكرار **[عن كل ذكر - شكر - طاعة]** فيها طلب خصوصية العبودية له وحده وخلوص المسير إليه عمن سواه عز وجل .

الوقفة الثانية: طلب المحتاط...

ثم قال الإمام(عليه السلام): **[فَإِنْ قَدَّرْتَ لَنَا فَرَاغاً مِنْ شُغْلٍ فَاجْعَلْهُ فَرَاغَ سَلاَمَةٍ]**، ففي قبال الانشغال يوجد الفراغ، وكما إن هناك انشغال في الصالحات الموجبة لتحصيل الحسنات، هناك انشغال بالطالحات وبها تكتسب السيئات.

فإن الفراغ ايضاً منه ما هو موجب للحسنات ومنه ما هو موجب للسيئات، ولهذا الإمام(عليه السلام) يضع لنا هذا الاحتمال في الأقدار الالهية التي قد نعيشها ولابد أن نعيشها يوماً.

ويعلمنا أن نتنبه اولاً لوجود هذه الأقدار وكيف إنها ليست الأصل في حياة

الإنسان، فالذي في حياته فراغ كثير وانشغال قليل فليراجع اسلوب حياته، لأنها مؤشر على إن هناك احتمال كبير إنه ممن ضيع حضه وباع عمره فب أبخس الأثمان.

ومقياس الفراغ المنجي والمساوي لحالة الانشغال الممدوح هو كما عبر الإمام [**فَرَاغَ سَلاَمَةٍ**] أي يسلم فيه القلب من الغفلة واللسان من التكلم بما لا يجوز من الحرام أو الثرثرة أو اللغو أو حتى ما يقابل حالة عدم الشكر وهو كلام القنوط واليأس، قول السأم والتضجر؛ فالفارغ لا يتوقع منه إلا أن يكون هكذا، لا يرى لحياته قيمة، ولا يبصر في حياته أي نعمة، بالنتيجة فإن جوارحه لن تسلم من الكسل عن فعل أي شيء.

أما الفراغ في سلامة فهو -كما يبدو- كما نقرأ في المأثور هو يشبه ثواب نوم الصائم، فالصائم النائم فارغ لكنه فراغ سلامة، يُحسب ذاكراً وشاكراً وجوارحه في طاعة، كذلك من يعرض عليه مرض يقعده عن الحركة فهذا فراغ، فإن كان فراغ سلامة رأيت صاحبة ذاكراً بقلبه لله تعالى شاكراً بلسانه إياه، له ملائكة تستغفر له، وتكتب له في صحيفته الحسنات كما جاء في مضامين الأحاديث الشريفة-.

وهذا المعنى نستوحيه من أصل عبارات الدعاء كما في قول الإمام في تتمة هذا الطلب بقوله:

[لا تُدْرِكُنَا فِيهِ تَبِعَةٌ وَلاَ تَلْحَقُنَا فِيهِ سَأْمَةٌ حَتَّى يَنْصَرِفَ عَنَّا كُتَّابُ السَّيِّئَاتِ بِصَحِيفَةٍ خَالِيَةٍ مِنْ ذِكْرِ سَيِّئَاتِنَا وَيَتَوَلَّى كُتَّابُ الْحَسَنَاتِ عَنَّا مَسْرُورِينَ بِمَا

كَتَبُوا مِنْ حَسَنَاتِنَا].

الوقفة الثالثة: وجوه مخاطر الفراغ بلا سلامة

اولا: قالت العبارة [**لا تدركنا**] و [**لا تلحقنا**]، كما في هذه الفقرة: [**تُدْرِكُنَا فِيهِ تَبِعَةٌ وَلاَ تَلْحَقُنَا فِيهِ سَأْمَةٌ**]، أي إن خطورة الفراغ بغير سلامة تكمن في كونه مجلبة للمفاسد، فبها تقبل على الإنسان وتأتيه الشرور لا إنه هو يقبل عليها ويأتيها، لأنه بالأصل فارغ.

لذا فإن فراغ السلامة وجه من أوجه مقاصده هو هذا أن يسلمه الله تعالى من أن تُقبِل عليه التبعات وتلحقه حالة التشكي والضجر، فلا تحضر معها كتاب صحف السيئات، بل يأتي إليه كتاب الحسنات.

ثانيا: إن الإمام(عليه السلام) لمَ يضع (أو) بين تدارك التبعات وتلاحق السأم بل وضع (و) فهما إن اتيا أتيا معاً وتحققا معاً، فهما في قبال توالي الخطوات الثلاثة للفراغ بسلامة التي هي ذكر وشكر وطاعة، فالفراغ الموجب لتحقق هذا التدارك والالتحاق يعني سيصيب القلب الغفلة ثم السأم على اللسان ثم العصيان في الجوارح، فهي خطوات واحدة تتبع الاخرى وواحدة جالبة للأخرى، وهذا وجه من وجوه مخاطر الفراغ بلا سلامة.

ثالثا: العبارة قالت(ينصرف) في قبال (يتوالى) و (كتاب)، ففي ذلك إنذار وبشارة، انذار أن الفراغ بما هو فراغ قد يكون مجلبة لسيئات كثيرة ومتنوعة

تستوجب ليس كاتِب واحد بل كُتاب كُثر لإحصاء وتدوين السيئات. وقد يكون لا! إن كان فراغ سلامة يكون مجلبة لتوالي كُتاب الحسنات يعني تستطيع حتى بالفراغ جلب الحسنات بحيث تنزل الملائكة واحدة تلو الاخرى لتسجل حسناتك.

الوقفة الرابعة: ختام للختام

في نهاية الدعاء قال الإمام(عليه السلام) : [**وَإِذَا انْقَضَتْ أَيَّامُ حَيَاتِنَا وَتَصَرَّمَتْ مُدَدُ أَعْمَارِنَا، وَاسْتَحْضَرَتْنَا دَعْوَتُكَ الَّتِي لاَ بُدَّ مِنْهَا وَمِنْ إِجَابَتِهَا، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ، وَاجْعَلْ خِتَامَ مَا تُحْصِي عَلَيْنَا كَتَبَةُ أَعْمَالِنَا تَوْبَةً مَقْبُولَةً لا تُوقِفْنَا بَعْدَهَا عَلَى ذَنْبٍ اجْتَرَحْنَاهُ، وَلاَ مَعْصِيَةٍ اقْتَرَفْنَاهَا، وَلاَ تَكْشِفْ عَنَّا سِتْراً سَتَرْتَهُ عَلَى رُؤُوسِ الاشْهَادِ يَوْمَ تَبْلُو أَخْبَارَ عِبَادِكَ إِنَّكَ رَحِيمٌ بِمَنْ دَعَاكَ، وَمُسْتَجِيبٌ لِمَنْ نَادَاكَ**].

فكما هو معروف في أسلوب أدعية الإمام(عليه السلام) إنها تمثل منهج حياة، فالإمام(عليه السلام) لا يعلمنا طلب الخواتم الخيرة من دون أن نطلب ونعرف ما هي مقدماتها- وبتعبير اخر- لا يعلمنا طلب التوفيق لتكون خاتمتنا على خير دون أن نوفق بأن نكون من المحسنين الخيرين قبل ذلك، وهكذا بعد أن أرانا وأخذ بيدينا نحو الطريق القويم الذي علينا أن نسلكه، ونجتهد بتوفيق من الله تعالى وعونه لسير فيه والثبات عليه، هو يعلمنا ايضاً طلب النتائج منه سبحانه.

أي يا رب نحن بالأصل إن كنا في الدنيا من الأخيار بتوفيق منك وحدك، وبعونك دون سواك، إلا أننا عبادك الضعفاء المقصرون فما أنشغل به القلب

مما أحصاه كتابك بذكرك فبمنك وفضلك، فتب علينا فلا بد للقلب من أنه غفل وأنشغل بغير ذكرك، ولابد للسان أن قصر يوماً في شكرك، ولابد للجوارح إنها قد كسلت في طاعتك مهما اجتهدت في خدمتك.

فتب علينا وأدم سترك على ما سترته منا في دنيانا يوم تُظهر خفايا وصحائف اعمالنا، ليس لكرامة لنا بل لأننا دعوناك في عالم الدنيا بذلك، وانت رحيم بعبادك وبمن دعاك، ومستجيب لمن ناداه.

الفصل الثاني

مناجاة التائبين.. بوابة إحياء القلوب

تُعد مناجاة التائبين[١] أولى هذه المناجاة الخمسة عشر إذ نقرأ فيها هذه الفقرات:

[اِلهي اَلْبَسَتْنِي الْخَطايا ثَوْبَ مَذَلَّتي، وَجَلَّلَنِي التَّباعُدُ مِنْكَ لِباسَ مَسْكَنَتي، وَاَماتَ قَلْبي عَظيمُ جِنايَتي، فَاَحْيِهِ بِتَوْبَة مِنْكَ يا اَمَلي وَبُغْيَتي وَيا سُؤْلي وَمُنْيَتي].

هنا لا يَتحدث الإمام(عليه السلام)عن مرض مُعين من الأمراض القلبية، إنما تَحدَث عما هو أخطر ألا وهو موت القلب معنوياً، كما وفي حديثه تنبيه لشدة خطورة الخطايا، وإلى أي خاتمة سيئة توصل مرتكبيها إذ ما تراكمت دون توبة؟! فهو يَعيش بها ويَمشي على الأرض لكن بلا حياة حقيقية كريمة عزيزة - كما تُبين الفقرات الأولى- إذ تُلبسه المَذلة والمَسكَنة، وتَجعلُه من المُبعدين، المَطرودين.

وكما إن الذِلَة والمَسكنَة هي لباس معنوي مذموم، فإن في قبالها لباس معنوي ممدوح، يُلفت نظرنا إليه الإمام(عليه السلام) لنُوجِده فينا ولنجعله رداء لقلوبنا، والذي هو كما في قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾(الأعراف:٢٦)، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(الحجرات:١٣)، فالتقوى هي خير زاد ولباس يُكسب الإنسان العزة، كما وتوصله الى بلوغ الكرامة أي اكتساب القرب من الخالق (جل وعلا).

١- الصحيفة السجادية: ص٢٩١.

ثم في هذا المقطع: [فَاَحْيِهِ بِتَوْبَةٍ مِنْكَ]، الإمام(عليه السلام) في طلب التوبة هنا قال(منك) وليس(مني)، وهنا تأكيد آخر لخطورة أن يَصل الإنسان الى مرحلة أن يكون قلبه ميت معنوياً، فلا قدرة له بتقديم التوبة، ولا رجعة ولا حياة لقلبه إلا بلطف ورحمة من الله تعالى قد تشمله.

إنما يملك مقدمات أخرى يُقدمها -كما يبدوا- وذلك عندما يناجي ربه بهذه العبائر: [يا اَمَلي وَبُغْيَتي وَيا سُؤْلي وَمُنْيَتي]، فبالأمل وحسن الظن بالله تعالى ولو كانت خطاياه شديدة لدرجة أنها تَسبب موت القلب، يُمكن لمثل هكذا إنسان أن يَطلب العودة ليَقبله ربه ويُصلح له حاله بعد كل ما جَنى وأرتكب، ويتولد لديه الدافع بأن يَرجع الى مَن لا يَجد غيره طبيباً، مُجيباً ليَسأله ويَقصِده ليحيِّ ويشفي قلبه الذي لا شفاء له، ولا حياة فيه.

فحاشا لله تعالى أن يُرجعه خائباً، بل يَعود ويتوب عليه، فهو الحي القيوم، إذ قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:٢٧)، وهذا قد يكون أحد المقاصد التربوية الموجهة لنا.

كما ويمكن أن نفهم مقصداً أخر وهو إن الإمام(عليه السلام) يُعطينا الدواء قبل أن يُصاب قلبنا بداء الشقاء(الموت)، فإدراك الخطورة موجب للوقاية، ومفتاح الوقاية هو أن الإنسان يَصل الى يقين إن الله تعالى هو الأمل والغاية والمطلب والأمنية التي لابد أن يَنشغل بها قلبه كي يَبقى حيَّ، وإن ارتكب الخطايا والذنوب - فلا أحد منا معصوم - إلا إنه بهذه العلاقة الوجدانية التي تربطه بمولاه(جلّ وعلا)؛ سيستدرك الأمر، ويمده تعالى بالعون فيتوب عليه.

مناجاة الشاكين.. الشكوى بمنظوره الإيجابي

الشكوى عادة هي أمر مذموم، فلا أحد يُحب معاشرة كَثيري الشكوى، أو من يُظهر اعتراضه امتعاضه وانزعاجه مما هو فيه أو مما يَمر به، ولكن الشكوى التي يُربينا عليها إمامنا زين العابدين(عليه السلام) في مناجاة الشاكين، يُراد منها أمور أخرى، منها: عرض الحال بحثاً عن تغييره بل وبها يرينا الحلول، فهذه المناجاة وكل ما نقرأه في أدعيته (صلوات الله عليه) فيها بيان لدائنا ودوائنا.

شكايات ثلاثة في المناجاة

إذ نجد إن هناك ثلاث شكايات تراتبية، أولها شكاية على النفس الأمارة بالسوء بقول: [**إِلَهِي إِلَيْكَ أَشْكُو نَفْساً بِالسُّوءِ أَمَّارَةً**]، وثانيها على الشيطان، بقول [**إِلَهِي أَشْكُو إِلَيْكَ عَدُوّاً يُضِلُّنِي، وَشَيْطَاناً يُغْوِينِي**]، والشكاية الثالثة هي على القلب وذلك بقولنا: [**إِلَهِي إِلَيْكَ أَشْكُو قَلْباً قَاسِياً**...][1]، وكأن النفس قد تحالفت مع الشيطان ليتحكما بالقلب الذي هو بمثابة أداة تنفيذ هلاك صاحبه هذا!.

بماذا تنفعنا الشكاية للّه تعالى؟

من الملفت إن المناجاة ببث الشكوى عبرت بمفردة [إليك] وليس [لك] ولعل في ذلك إشارة لإظهار جدية الشاكي وسعيه الحثيث لتحقيق التغيير والارتقاء في تكامل ذاته، فهو لا يعرض حاله لله تعالى فقط، بل يعيش حالة

١- بحار الأنوار: ج ٥٣، ص ١٧٨.

التسليم، فيتجرد من حوله وقوته إلى حول وقوة ربه، وذلك بقوله في ختام المناجاة: [**إِلَهِي لَا حَوْلَ لِي وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِقُدْرَتِكَ، وَلَا نَجَاةَ لِي مِنْ مَكَارِهِ الدُّنْيَا إِلَّا بِعِصْمَتِكَ**...][١].

وهنا يُثبت فينا الإمام(عليه السلام) حقيقة العبودية، ويرسم لنا لا بدية عدم محدودية افتقارنا إلى نظرة المعبود وعنايته وكفايته، فلا منجٍ لنا من ضعفنا وعللنا، ولا حافظ لنا من أن يتمكن منا أعدائنا، ولا يوجد حائل دون قسوة قلوبنا إلا هو سبحانه وتعالى.

وفي الوقت ذاته في هذه الشكاية نوع من التأدب والاعتراف يُقر به من له نفس قوية تجاه مغريات وزينة الدنيا، ومن هو من أصحاب القلوب المهتدي اللينة، بأن ما هو عليه إنما هو من أفضال ربه عليه وبقدرته عز وجل لا بقوة مستقلة من ذاته، فهو بذلك يُذكر نفسه كي لا تجحد، وكذلك طلباً للبقاء على هذا الحال، وبلوغ المزيد من الثبات، فَسِرُّ الثبات على حُسنِ الحال بدوام الشعور بالافتقار والاضطرار بين يديه سبحانه.

النفس ومركزية تأثيرها

توصَف-كما في الأحاديث- النفس الأمارة بالسوء بأنها «أعدى أعدائنا» الداخلية، لأنها سبب تَمكِن أي عدو خارجي منا، لذا فإن النفس متى ما كانت قوية فإنها لن تخضع لعدو، يصفه تعالى بقوله: ﴿**إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾

١- بحار الأنوار: ج ٥٣، ص ١٧٨.

(النساء :٧٦)، كما ولنا أن نتخيل أي ضعف هي فيه، حتى تتأثر بمن هو ضعيف، وأي مصير وحال ستأخذه صاحبها إليه؟!

إذن النفس هي الحصن الأول الذي يُحدد توجه القلب وسلامته، فهي متى ما ارتقت من هذه المرتبة إلى مرتبة النفس اللوامة أو المطمئنة؛ هي لن تسمح لوسوسته أن تصل للقلب الذي هو إمام الجوارح وقائدها، والمُحرك الذي يجعل الإنسان يُقدِمْ أو يُحجِمْ في خطواته وقراراته وحركاته.

بينما ضعفها يجعل القلب يقسو شيئا فشيئا ليكون أداة طيعة يتقلب مع وساوس الشيطان، كما ورد في فقرات شكاية القلب، إذ نقول

[مَعَ الْوَسْوَاسِ مُتَقَلِّبًا، وَ بِالرَّيْنِ وَالطَّبْعِ مُتَلَبِّسًا، وَعَيْنًا عَنِ الْبُكَاءِ مِنْ خَوْفِكَ جَامِدَةً، وَإِلَى مَا يَسُرُّهَا طَامِحَةً][١]

ولكثرة ما سوف يحاط به القلب من ظلمانية، وما عليه من رين وطبع لن ينفذ النور إليه؛ فيصبح الحق والباطل سيان أمامه، فيكون صاحبه أعمى بلا بصيرة، وتُرفع منه مخافة الله تعالى، فيسير وراء ما ترغب وتهوى هذه النفس.

ولهذا ذَكر الإمام (عليه السلام) في فقرات هذه المناجاة العلامات والأعراض التي نعرف من خلالها حال هذه النفس وفي أي مرتبة هي؟ فلنتتبعها ولنجلس جلسة مكاشفة لنرى هل نحمل نفس قوية أم نفس ضعيفة أمارة بالسوء؟ وبذلك سنعرف مدى استجابتنا للعدو، وحال قلوبنا أيضا ما هو؟ فإن أدركنا ذلك نكون قد حققنا ثمرة شكايتنا، وتلمسنا الاستجابة لمناجاتنا.

---

١ – الصحيفة السجادية الكاملة : ص٢٦٩ .

آمالُ المُحبّين في مُناجاةِ إمامِنا زينِ العابدين

لولا الأمل الذي في قلوب بني البشر لما وجدوا لذّة العيش في هذه الحياةِ التي كانتْ ولا زالتْ محفوفةً بالمشكلات والعثرات والصعوبات التي بها يصقل الإنسان وجود، ويظهر حقيقة جوهره. وكلُّ أمل يروم الإنسان الوصول إليه، يجعلُه قويًا، مُستمراً في سيرِه.

وأسمى الآمال تلك التي يكون دافعها هو الحبَّ، ولا شيء سواه كما نقرأ في مناجاة المحبين[1] لإمامنا زين العابدين (عليه السلام): [وَيَا غايَةَ آمَالِ الْمُحِبِّينَ]، إذ تذكر الفقرات التي تليها سُبل بلوغِ هذه الغاية: [أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَن يُّحِبُّكَ، وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُوصِلُنِي إِلَى قُرْبِكَ]. فهذا السؤالُ تنبيهٌ وتوجيهٌ يُعلِّمُنا من خلالِه إمامنا السجاد (عليه السلام) حالة التأدُّبِ في حضرتِه (عزّ وجل)، أي أنْ نطلب العون منه لنكون أهلاً لتَحقيق هذه الغاية بدءاً، وتكون قلوبنا مشغولةً به دائماً، قاصدين وجهه الكريم لا غير، في كلِّ محبوباتِنا سواء حبِّنا لمخلوقاته أو لأيِّ عملٍ نقوم به.

أما كيفَ ذلك عملياً؟

ففي الفقرة التالية من المناجاة: [**وَأَنْ تَجْعَلَكَ أَحَبَّ إِلَيَّ ممَّا سواك، وأَنْ تَجْعل حُبِّي إِيَّاكَ قَائِداً إِلَى رِضْوَانِكَ**]، أي أنْ تجعل منطلقَ الحبِّ والدافع الأصل لك (سبحانك)، لا لأجرٍ ولا لدفع عقابٍ أو لنيل قرب ورضى مخلوقٍ

١- الصحيفة السجادية: ص(٣١٣-٣١٤).

ما، إنّما هو لأجل تحصيل قُربك ورضاك في كلِّ خطواتنا وسكناتنا.

البعض يجعل حُبَّ الله(تعالى) ذريعةً ليتساهل في السير وفق حدود الشريعةِ الإلهية المرسومة له؛ فيتكاسل في عبوديتِه، ويتباطأُ في أداء تكاليفه، ناظراً إلى حبِّ الله(تعالى) من طرف الرحمة الإلهية، غافلاً عن أنَّ كمال تحقيق هذا الحُبِّ في أنْ يُحقِّق فيه جنبة الاعتقادِ بجلال الله(تعالى) كاستشعارِ هيمنتِه وعظمتِه وكبريائه، والتي تتطلّب أنْ يَخضع ويطيع ويُسلِّم لكُلِّ أوامر ذلك المحبوب.

فالحُبُّ هنا يَتجلّى بأنْ يَكون دافِعُه الانقياد والطاعة وليس الخوف أو دفع العقاب؛ لأنّه مُحِبٌّ يجد كمال حُبِّه بذلك.

ثم يُعلِّمُنا إمامُنا(عليه السلام) بقوله: [**وَشَوْقِي إِلَيْكَ ذَائِداً عَنْ عِصْيَانِكَ**]، إذ مع جناح الحُبِّ يأتي جناح الشوق لتكون حركة المؤمن متزنةً في سيره وعلاقته بهذا الربِّ الجميل الجليل، فكما أنّ الحُبّ مُحفِّزٌ للطاعة، فالشوق مُحفِّزٌ إلى الارتقاء في منازل المُحبّين والمُقرّبين، وهو بمنزلةِ حِصْنٍ يقيه من الاقتراب من المعاصي. فالزلّاتُ هي قد تُبقي فاعلها في مكانِه فلا يرتقي، أما ارتكابُ ما هو أكبرُ وأعظم من المعاصي والذنوبِ فإنّها تكونُ سبباً في تراجُعِه في المسير، وتُبطِّئُ وصوله إلى مراتب القُرب؛ لذا الشوقُ للارتقاء يُكسب هذه العصمة، ويَجعله من أهل الإنابة لمولاه، ومن أهل الحُبِّ الواعي الحقيقي.

مناجاة الخائفين... ما هو الخوف الممدوح؟

في مناجاة الخائفين[١] الإمام السجاد (عليه السلام) يوجه بوصلة خوفنا الى ما يجعله خوف ممدوح، وذو أثار إيجابية في حياتنا على المستوى الدنيوي المادي والمعنوي، وبالتالي بلوغ الآمن على المستوى الأخروي الذي هو أقصى غايات عباد الله الذين يعيشون لرؤية حقائق إيمانهم وتقواهم في الحياة الأخرى.

فما دام الإنسان في هذه الحياة الدنيا هو في خطر ولابد أن يعيش الخوف من أن يفقد استقامته، او أن ينحرف في مسيره؛ إذ إن استشعاره لهذا الخطر هو في ذات الوقت هو الامان الحقيقي له ليثبت(فمن لا يخاف هو على خطر في حقيقة الأمر).

ففي بداية المناجاة يُبين لنا الإمام(عليه السلام) المنجيات من الوقوع بالخيبة الحقيقية بقوله: [**حَاشَا لِوَجْهِكَ الكَرِيمِ أَنْ تُخَيِّبَنِي!**] وذلك على المستوى الفكري/ الاعتقادي وهي:

كما في هذه الفقرة بقوله: [**إِلهِي أَتُراكَ بَعْدَ الإِيمانِ بِكَ تُعَذِّبُنِي**]، فالخوف من الوقوع بالعذاب الالهي يزيله تحقيق الإيمان بالله تعالى.

ثم يقول: [**أَمْ بَعْدَ حُبِّي إِيَّاكَ تُبْعِّدُنِي**]، هنا الخوف من البُعد والسعي لبلوغ القرب الذي به يتحقق الامان يُحققه الحب ومقدار تعميقه في القلب وترك التعلق بغير الله تعالى.

وبعد ذلك يذكر المنجية الثالثة بقوله: [**أَمْ مَعَ رَجائِي لِرَحْمَتِكَ وَصَفْحِكَ**

١- الصحيفة السجادية: ص (٢٩٦-٢٩٧).

تَحْرِمُنِي] فالخوف من عدم الشمول برحمة الله بتحقيق الرجاء وحسن الظن بالله تعالى وبإدراك سعة عفوه ليس على مستوى إسقاط الذنوب بل الصفح اي أزالته من صحيفة أعماله، يوجب حالة الأمن النفسي ليبدأ من جديد.

ثم يشير بقوله: [**لَيْتَنِي عَلِمْتُ أَمِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ جَعَلْتَنِي، وَبِقُرْبِكَ وَجِوَارِكَ خَصَصْتَنِي، فَتَقِرَّ بِذلِكَ عَيْنِي وَتَطْمَئِنَّ لَهُ نَفْسِي**]، فهذا الهاجس والهم إذا ما عاشه الإنسان وتحول الى تساؤل دائم يجعل الخوف بمثابة الحصن الذي به يبلغ السعادة، والحافظ له للوقوف عند حدود العبودية، والمحقق في نفسه الطاعة والامتثال لأوامر ونواهي معبوده، وبتالي يجعله من اهل العمل حتى يحقق مبتغاه وهو الرجوع لله بنفس مطمئنة، فيرى ثمار اعماله فتقر بذلك عينه. لذا الإمام(عليه السلام) بَين السُبل الموجبات لبلوغ الامن على مستوى الأفعال(العملي/ السلوكي) مع الله تعالى وذلك:

اولاً: عَبر السجود، كما في قوله : [**إِلهِي هَلْ تُسَوِّدُ وَجُوهاً خَرَّتْ سَاجِدَةً لِعَظَمَتِكَ**] فالخوف من أن يسود وجه العبد فلا يكون مقبول عند مولاه ينتفي بالسجود اي بتحقيق الخضوع والتواضع لله تعالى، ليكون من أهل الامن كما في قوله تعالى:﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ**﴾(عبس:٣٨).

ثانياً: الثناء على هذا الرب الكريم باللسان كما في قوله : [**أَوْ تُخْرِسُ أَلْسِنَةً نَطَقَتْ بِالثَّناءِ عَلَى مَجْدِكَ وَجَلالَتِكَ**] موجبة للسماح للعبد بمناجاته؛ والسماح له بذلك يوجب بدءاً تذوق حلاوة طعم الحديث مع الله، وموجب لتحقيق الأمان في النفس.

ثالثـاً: القلـب المنطـوي بمحبـة الله تعالـى كمـا في قولـه: [**أَوْ تَطْبَـعُ عَلَـى قُلُـوبٍ انْطَـوَتْ عَلَـى مَحَبَّتِـكَ**]، فالتعلـق بـه سـبحانه موجـب لانفتـاح القلـب واسـتقباله لفيـض الله تعالـى واسـتقرار انـوره ورحمتـه فيـه، وهـل لقلـب كهـذا أن يدخلـه الخـوف(اي خـوف الوقـوع في الظلمـات؟!).

رابعـاً: الإذن الواعيـة المصغيـة لـكلام الله تعالـى وكل مـا فيـه ذكـره وتذكـره هـي موجبـة للعيـش بأمـان في الدنيـا، والاخـرة بمـا يوافـق ارادة الـرب، كمـا في قولـه: [**أَوْ تُصِـمُّ أَسْـماعـاً تَلَـذَّذَتْ بِسَـمَاعِ ذِكْـرِكَ فِـي إِرادَتِـك**].

خامسـاً: بسـط الكـف لله تعالـى بالتوجـه اليـه والطلـب منـه، كمـا في قولـه: [**أَوْ تَغُـلُّ أَكُفّـاً رَفَعَتْهـا الآمـالُ إِلَيْـكَ رَجـاءَ رَأْفَتِـكَ**] لأنـه منتهـى الآمـال وموطـن العطـاء، وهـذا يوجـب عـدم الخـوف مـن أن تغـل أيـد الأنسـان، كمـا يحصـل مـع المجرميـن كمـا في قولـه تعالـى: ﴿**وَتَـرَى الْمُجْرِمِيـنَ يَوْمَئِـذٍ مُّقَرَّنِيـنَ فِـي الأَصْفَـادِ**﴾ (إبراهيـم: ٤٩).

سادسـاً: تسـخير البـدن كمـا في قولـه: [**أَوْ تُعاقِـبُ أَبْدَانـاً عَمِلَـتْ بِطاعَتِـكَ حَتَّـى نَحِلَـتْ فِـي مُجاهَدَتِـكَ**]، وببـذل مـا فيـه مـن عافيـة وطاقـة في سـبيل طاعـة الله وخدمـة عبـاده موجـب للأمـن مـن عقـاب الله تعالـى. والسـعي علـى مسـتوى المسـارعة في اداء العبـادات موجبـة للأمـن مـن العـذاب الالهـي، كمـا في قولـه: [**أَوْ تُعَـذِّبُ أَرْجُـلاً سَـعَتْ فِـي عِبادَتِـكَ؟**].

بالنتيجـة الإمـام(عليه السلام) وضـع علامـات تحقـق حالـة التـوازن بيـن وجـود حالـة الخـوف في النفـس وتحقـق الأمـان فيهـا ولهـا عَـبر الأفعـال القلبيـة والبدنيـة في عالـم

الدنيا لتتحقق آثارها في الدنيا ورؤية ثمارها التامة المنجية في الآخرة، وبها صرف النفس عن مواطن الخوف الوهمية التي يعيشها أهل الدنيا.

مناجاة المعتصمين... عصمة لقلوب المؤمنين

تتسم مناجاة المعتصمين[١] بجانب معرفي كبير وواسع، وجانب سلوكي حياتي، كيف لا، وقد صدرت من إمام معصوم؟! إذ يمكن لنا أن نصل من خلالها إلى كيفية اكتساب العصمة، وفيها إشارات في كيف نكون مؤهلين للدخول في عصمة الله تعالى، فكل عطاء يبلغه المؤمن يكون مسبوق بأهلية ومعرفة، وهذه المناجاة باب لذلك، لذا هنا سنحاول الاقتباس من نور كلمات إمامنا السجاد(عليه السلام) من خلال عدة تأملات في فقرات من هذه المناجاة:

العبارة العاصمة الأولى: [وَيَا كَنْزَ الْمُفْتَقِرِينَ]

هنا قالت المناجاة أن الله تعالى كنز، ولكن ليس للفقراء بل للمفتقرين أي من أستشعر حقيقة وجوده، المفتقرة لله سبحانه وتعالى فقط وفقط، والتي لا غنى لها عن مدده وعطاياه بل هو كل غناها. فهذا الاستشعار موجب [لعصمة] الانسان من أن يمد عينه لما متع به غيره أو النظر لما عند غيره لأنه بالأصل ليس فقير؛ فمن لديه كنز هل هو فقير؟ كلا! بل هو يستشعر الافتقار أي المنّة والتواضع لمولاه الذي هو كنزه، ومصدر قوته وغناه عن خلقه. لذا افتقاره هو

١- الصحيفة السجادية: ص (٣٢٤-٣٢٥).

غنى في حقيقته.

العبارة العاصمة الثانية: [وَيَا مُنْجِيَ الْهَالِكِينَ]

نستطيع أن نقول أن وصول الإنسان لمرحلة «الهلاك» هي اقصى حالات التدمير والانتهاء التي تقابل اليأس التام، ولكن تعالى هو باب الأمل المفتوح دائماً وابداً، والعاصم لكل إنسان إذا ما وصل لهذه المرحلة على اثر تراكم الأخطاء، والبعد عن الحق، والتعدد لحدود الله.

وهذه العصمة التي تنجي الانسان المتمثلة بالأمل بأن الله تعالى بلطفه ورحمته إذا عاد العبد وتيقظ من غفلته، يعود عليه ويأخذ بيده وبالتالي ينجيه نجاة تعصمه من العودة للموبقات، والأفعال الموجبة للهلاك. فلا أحد قادر على نجاة الهالكين إلا هو سبحانه، ولا أحد طالما هو في هذه الدنيا مهما كان سوء حاله وعلاقته مع ربه أن لا يشمل بعصمة الله تعالى هذه وينجو فقط إذا هو أراد، وطرق هذا الباب.

العبارة العاصمة الثانية: [وَيَا مَأْوَى الْمُنْقَطِعِينَ]

كثيراً ما نسمع هذه الحقيقة إن الإنسان أتى لوحده، وسيعود لوحده، ولكن تبقى ما بين هاتين المرحلتين هناك علاقات لابد أن تبنى، وصلات بينه وبين الآخرين تتجلى فمنها ما تدوم ومنها ما تزول، ولكن يبقى هناك ملاذ واحد عنه لا يمكن للإنسان أن يستغني، وهو تعالى سبحانه. وهذا المأوى يعصم

الإنسان من أن يستشعر الغربة والوحدة اذا ما غاب قريب او خذل رفيق او خان صاحب او ابتعد محب.

لذا قالت الفقرة (منقطعين) وليس(المقطوعين) او (القاطعين)، لأن الانقطاع لله تعالى وإدراك إنه المأوى بدءً وإليه المنتهى، يبقي علاقاتنا الإنسانية مع الآخرين علاقات مبنية على الحب لمن يبذل لنا الحب، والعفو لمن أخطأ، والصفح لمن أساء. فالعفو درجة من السماحة التي تجعل نظرتنا للمقابل على أنه من عيال الله تعالى، وهو بشر يخطأ كما يخطئ فلا تحصل قطيعة بمعنى العداوة بل الابتعاد بمعنى بسلام، وأن تكون الصلة بينكم بالدعاء له بالخير.

أما الصفح فهو اعلى درجة من العفو -فكما يقال- يمكن أن تبدأ معه صفحة جديدة لأنه أخوك في الإنسانية مهما كانت أساته كبيرة، هناك علائق اكبر توجب أن تنظر لإساءته، وكأنها لم تحصل، وهذا يتحقق بتحقق عصمة أن تكون منقطع الى الله تعالى وحده وغير متعلق بغيره، ولا ترتجي مأوى غيره.

العبارة العاصمة الرابعة: [وَيَا مُجِيرَ الْخَائِفِينَ]

الإنسان عندما يصل لمرحلة الخوف تصبح الرؤية عنده غير واضحة، الخوف من أن يقدم على فعل خاطئ مثلا، الخوف من ان يكون قد وضع قدمه في محل لا يليق به. الخوف من أن تصدر منه إساءة دون قصد، الخوف من أن يضمر له الأخرين ما لا يحب، ويبقى يحسن الظن بهم لكن هناك شعور يجعله غير مطمئن، وغيرها من المخاوف التي قد تصيب الإنسان في زمن أصبح فيه

كل شيء سهل التغير والانقلاب و و... هذا الخوف الذي يصاحب المؤمن دائما لكي لا تزل قدمه، ولا يفقد همته وعزمه لا مجيب له إلا هو

نعم. تعالى وحده فالإنسان الذي يصل لمرحلة لا ناصح آمين لديه لن يعصمه من الخطأ إلا اللجوء إلى عاصم الخائفين فلا أحد قاد أن يجلي غمامة الخوف، وعدم الاطمئنان لما يجري في هذه الحياة التي تقلبت فيها الموازين عند أهلها إلا هو سبحانه، وذلك متى ما ناجى الإنسان ربه، وطلب رشده وهدايته. فبعض المخاوف لشدة دقتها، وصعوبة النطق بها بحثا عن حل لها من الأخرين لا يكون حصول جوابها الا بمناجاة من يعلم السر وأخفى.

العبارة العاصمة الخامسة: [وَيَا نَاصِرَ الْمُسْتَضْعَفِينَ]

الأنسان الذي يكون هينا على الآخرين مع أنه ذو شأن عند الله تعالى ؛ تعالى أول المدافعين عنه وأول الناصرين له. لذا مهما كانت نظرة الاخرين لمن يرتبط بالله، وقد عاهد ربه على الثبات في طريقه، وجاهد في ان يواصل في مسعاه، مهما كانت المبادئ والمقاييس عند الناس معكوسة، ومهما كانت السهام التي فيه مغروسة. سهام الكلام الجارح، والاستصغار او الاستنقاص وحتى الاستهزاء به وبما يحمله من مبدأ، فإن الله تعالى ينصره بمعاني عدة:

اولاً: ينصره من داخله فيعصم قلبه من الانقلاب ونور إيمانه من الانخماد، وسيره من التوقف أو التراجع.

وثانياً: ينصره في حقيقته التي يجعلها جلية وواضحة في نظر الأخرين،

فالإساءة كلما عظمت من الأخرين كانت دليل على ضعف المقابل، وشعوره بالنقص، فهو بفعل ذلك يحاول إطفاء تلك النار التي تحرقه لأنه لم يثبت في طريق الحق، ولم يروض تلك النفس فأمسى ضعيف يسير وراءها في كل واد تهيم به.

وهذا انتصار بحد ذاته، وموجب لشفقة لحال أمثال هؤلاء الذين غرتهم الحياة الدنيا وانحصر وجودهم فيها بالنتيجة المؤمن معصوم من الضعيف فهو قد يكون مستضعف من الناس لكنه بالنتيجة منصور من قبل الله تعالى لذا هو ليس بضعيف ابداً بل هو قوي.

العبارة العاصمة السادسة: [وَيَا عَاصِمَ الْبَائِسِينَ]

البئس عادة تطلق على حالة العوز والفقر ونزول البلاءات على الإنسان، لذا مثل هكذا امتحانات قد تصيب الإنسان بالجزع واليأس، ولكن من يعرفه تعالى حكمة ما هو فيه، وإن البلاءات مهما كانت شديدة هي في صالح الإنسان، وإن لم يدرك حكمتها في وقت وقوعها لكنه بالنتيجة إذا كان مدرك أن كل ما ينزل من ربه الذي لا يصدر منه الا كل جميل، سيرى كل شيء يعيشه ويمر فيه هو جميل، وهذه عصمة تعصم الإنسان من الجزع مما نزل به أو السخط على قضاء ربه.

العبارة العاصمة السابعة: [وَيَا مُغِيثَ الْمَكْرُوبِينَ]

المكروب هو المهموم والمثقل المتعب من كثرة الاحزان والهموم التي أحاطت به، وغلف بها القلب فيصبح بلا حياة، وغير قادر على تذوق طعم شيء فيها.

تلك التي جعلت مرأة قلبه مغطاة كزجاجة الشباك في البيوت المهملة التي تراكمت عليها الاتربة، فيصعب النظر من خلالها لما حولها، وتجعل الداخل مظلم لا يمكن أن يشرق عليه شيء من إشعاعات الشمس او نسمات الهواء النقية، وإن دخلت تكون مصحوبة بذرات ترابية تكدر الداخل اكثر وأكثر، ولا يزيل ذلك غيث من السماء يغسله وينظفه، ويجعله صافي ونقي؛ وهكذا قلب الإنسان إذا لم يعتصم بالمغيث يستغيث به ويستغفره دائما لن ينجو من تراكم الكربات في داخله، ولن تزال من قلبه كلما تعرض لها لذا كن متعرض لغيث ربك، لتعصم به قلبك من أن تستقر الهموم في داخلك فلا تصفوا بعد ذلك حياتك.

العبارة العاصمة الثامنة: [وَيَا حِصْنَ اللَّاجِئِينَ]

في مفهوم اللجوء اليوم فإن اللاجئ هو يهرب من شيء أو يحاول البحث عن مكان أفضل، مما كان يعيش فيه ليلجئه اليه، ولكن يبقى هناك خوف وترقب من أن ذلك الملتجئ هل سيكون أفضل؟ هل من سيلجأ له سيكون فعلاً على قدر هذه الكلمة؛ فهيئ له وسائل الراحة والأمان لا يسلبه حق من حقوقه او

يهينه ويذله هذا في قوانين اللجوء الدنيوي، ولكن اللجوء الى الله تعالى هو بمثابة حصن للإنسان أي سد منيع وأمان تام، لمن قصده هو عصمة، لا ندم يتبعه، ولا خوف يصاحبه بل فيه كل العزة والحماية والكفاية والقوة.

مناجاة الذاكرين...تبين لنا علامات الذاكرين

يشير الإمام(عليه السلام)[1] في هذه الفقرة [**إِلَهِي لَوْلا الْواجِبُ مِنْ قَبُولِ أَمْرِكَ لَنَزَّهْتُكَ عَنْ ذِكْرِي إِيَّاكَ، عَلَى أَنَّ ذِكْرِي لَكَ بِقَدْرِي لا بِقَدْرِكَ، وَمَا عَسَى أَن يَّبْلُغَ مِقْدَارِي**]، وففي ختام المناجاة نقول : [**إِلَهِي أَنْتَ قُلْتَ ـ وَقَوْلُكَ الْحَقُّ ـ** : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَّأَصِيلاً**﴾ ، وَقُلْتَ ـ وَقَوْلُكَ الحَقُّ ـ :﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾، **فَأَمَرْتَنَا بِذِكْرِكَ، وَوَعَدتَّنَا عَلَيْهِ أَنْ تَذْكُرَنَا تَشْرِيفًا لَّنَا وَتَفْخِيمًا وَإِعْظَامًا**]

أي أن أصل ذكرنا الله تعالى هو امتثال لأمر الله تعالى الذي قال ﴿**اذكروني**﴾، ولكن ليس لحاجة له لذكرنا فهو الغني عنا، بل إننا اعجز من أن نكون قادرون على ذكر رب عظيم مالك لكل هذا الوجود، ونحن في قبال ذلك خلق من مخلوقات هذا الوجود، ولكن ذكرنا له لننال بذلك ذكره ايانا.

ثم يقول: [**وَهَا نَحْنُ ذاكِرُوكَ كَمَا أَمَرْتَنَا، فَأَنْجِزْ لَنَا مَا وَعَدتَّنَا يَا ذاكِرَ الذَّاكِرِينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ،**] فمن مواعيد الله تعالى- كما يبدوا- التي اشار لها الإمام(عليه السلام) في نفس المناجاة:

١- الصحيفة السجادية: ص ٣٢٢.

اولاً: إنه يكون محل وموضع تقديس الله تعالى وذكره والتذكير به، بقولنا **[حَتَّى أُجْعَلَ مَحَلًّا لِّتَقْدِيسِكَ، وَمِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ عَلَيْنَا جَرَيَانُ ذِكْرِكَ عَلَى أَلْسِنَتِنَا، وَإِذْنُكَ لَنَا بِدُعَائِكَ وَتَنْزِيهِكَ وَتَسْبِيحِكَ،]**، فعادة لو اردنا أن نقرب الصورة- بلا قياس- إن الذي يُذكر عندنا لابد أن نذكره بشيء إن كنا نعرفه أما إذا كان غريب عنا فنذكره ايضاً لنتعرف عليه ولنعرف من هو، ولهذا ذكرنا الله تعالى إما لأجل أن ننال بذلك شرف تعريف خلقه به إن كانوا لا يعرفونه بما ذكرنا أو سنعرف عنه من المقابل ما يجعلنا نتعرف عليه، بالنتيجة نتقرب منه اكثر.

فكيف إذا كان المذكور بينا أو على لساننا واجب الوجود فأي نعمة عظيمة هي هذه أن ننال شرف جريان ذكره على السنتا، فذكر الله تعالى باللسان لا يقتصر على أن ندعوه أو نناجيه أو نسبحه وإن كانت هذه نعمة تحتاج إلى إذن إلهي، فليس كل ذاكر ذاكر، إنما الذاكر العارف بما يذكر هو من حقاً أذن له بذلك، والذكر الارقى هو أن نكون من المذكرين به، ممن عبرت الروايات من يذكر الآخرين وجودهم بالله تعالى.

ثانياً: الهامنا لذكره في كل الاحوال، بقولنا **[إِلَهِي فَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ فِي الْخَلَاءِ وَالْمَلَاءِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالإِعْلانِ وَالإِسْرَارِ، وَفِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ]**، هنا نطلب أن نلهم ذكر الله تعالى في كل آن ومكان وحال، متى ما عشنا الغفلة عن ذكر الله تعالى، أن تتحرك وبواطننا وقلوبنا الى محبوبها فلا يلهج بذلك لساننا فقط بالذكر بل كل وجودنا يكون الهي ذاكر.

ثالثا: الانس الموجب للعمل الزاكي، ثم يطلب الإمام(عليه السلام) مقام ارفع من الذكر اللساني وهو الذكر الالهي العملي، وعبر عنه بقوله: **[وَآنِسْنَا بِالذِّكْرِ الخَفِيِّ]**، ليكون مقدمة لتحقيق هذه الفقرات التي نطلب بها: **[وَاسْتَعْمِلْنَا بِالْعَمَلِ الزَّكِيِّ، وَالسَّعْيِ الْمَرْضِيِّ، وَجَازِنَا بِالْمِيزَانِ الْوَفِيِّ]**. فالذكر اللساني هو ذكر ظاهر واضح.

لكن أن يكون الإنسان موفق للعمل الزاكي والسعي المرضي فهذا ايضاً ذكر لكنه خفي، لأنه عمل لله تعالى وفي القيام به طلباً لمرضات الله تعالى وبه مراعاة لحدود الله تعالى فهو لو لم يكن عبداً ذاكراً لكان ممن يعمل عمل الغافلين، ذلك العمل الذي يقصده طلباً لجني المال الوفير او ليحصل به على المقام الدنيوي الرفيع.

ولكن من وصل لمرحلة الأنس بالله تعالى وذكره أي تذكر حضوره ورقابته لن يكون مستأنسا بعمل فيه معصيته ابداً، بل سيكون انسه بتذكر الله وذكره خفيا، فيهون عليه مشقة صعوبة الثبات على الاستمرار على كل عمل زكياً يوفقه إليه الهه.

رابعًا: تحقيق الاطمئنان، إذ نقرأ

[إِلَهِي بِكَ هَامَتِ الْقُلُوبُ الْوالِهَةُ، وَعَلَى مَعْرِفَتِكَ جُمِعَتِ الْعُقُولُ الْمُتَبَايِنَةُ، فَلا تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ إِلَّا بِذِكْرَاكَ، وَلا تَسْكُنُ النُّفُوسُ إِلَّا عِنْدَ رُؤْيَاكَ، أَنْتَ الْمُسَبَّحُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَّالْمَعْبُودُ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَّالْمَوْجُودُ فِي كُلِّ أَوَانٍ، وَّالْمَدْعُوُّ بِكُلِّ لِسَانٍ، وَّالْمُعَظَّمُ فِي كُلِّ جَنَانٍ]

فتركيبة الإنسان الالهية هي لا تركن ولا تركن ولا تسكن الا بذكر الله تعالى، فمركز مشاعر الإنسان هو قلبه، ولا يوجد إنسان عاقل مؤمن كان أم ليس بمؤمن إلا وهو باحث عن سبيل أن يكون قلبه مطمئن غير مضطرب، مستقر غير قلق، سعيد ومرتاح.

ولا يوجد دواء شافي لهذه الأمراض المعنوية إلا ذكر الله تعالى، فكل شيء بالوجود متناغم متناسق لا يخلو شيء منه إلا وهو فيه حياة لأنه ذاكر لله تعالى، فكيف بقلب الإنسان هل له حياة من دون أن يكون لله ذاكرا؟

ولهذا الإمام(عليه السلام) ينبهنا أن نكون من أهل الأستغفار لقصورنا عن ذكر الله تعالى مهما كنا من الذاكرين له جل وعلا، وذلك بقوله:

[وَأَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ بِغَيْرِ ذِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ رَاحَةٍ بِغَيْرِ أُنْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ سُرُورٍ بِغَيْرِ قُرْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ شُغْلٍ بِغَيْرِ طَاعَتِكَ]

كما إن الإمام(عليه السلام) ينبهنا الى حالة من سوء الادب نعيشه مع ذكر الله تعالى يوجب الأستغفار وطلب الغفران منه، وذلك في كل لذة نتنعم بها وهي منه بالأصل منه سبحانه، وفي كل راحه وفي كل سرور إلا إننا ننشغل بها.

فلا نلتفت أن تلك النعمة التي نتلذذ بها منه فنذكره وننسب الفضل له، وتلك الراحة الظاهرية التي هي بالأصل أيضاً بوسائط هي من صنعه هو جل وعلا ولكن لا نأنس بصانعها بل بها لأننا نراها هي سبب راحتنا، وذلك السرور الذي عشناه مع إنه لشيء هو من متاع الدنيا الموجبة للبعد والغفلة مع أهل الدنيا.

والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا الإمام(عليه السلام) خصص الأستغفار على

اللذة والراحة والسرور التي لا يتذكر الإنسان بها ربه، ولم يذكر الألم أو التعب والحزن؟ والجواب يمكن أن نستلهمه من نفس الفقرات: إن الإنسان لأنه باحث عن الراحة والسرور والتمتع هو إن حازها نسى ربه، وإن عاش نقيضها عاد لفطرته باحثاً عنها ولا يجدها إلا بذكر موجدها ومعطيها، ولهذا الإنسان مهما كان بعيد عن ربه غافلاً إن مر بألم أو ضيق أو حزن تراه ذاكراً لاجئاً لائذاً بربه، لأنه بفطرته عند الاضطرار يعرف أي باب يطرق ومن هو ملجأه ومخلصه الأوحد.

مناجاة الشاكرين... تبين لنا علامات الشاكرين

في هذه المناجاة[١] يبين الإمام(عليه السلام) للشاكرين علامات وهي:

العلامة الاولى: الأعتراف بسبوع النعم مع النعم، وهذا الاعتراف يظهره الإمام(عليه السلام) بأن يكون تعامل الشاكر مع النعم بأن يعيش حالة الذهول عن إقامة الشكر، العجز عن إحصائها، الانشغال بتوارد النعم وترادف العوائد، فكل شكر يصدر من العبد على نعمة يقابله نزول مثيلتها أو اكثر منها، هكذا يعيش الشاكر مشغولاً بالنعم النازلة تارةً، و بالشكر تارةً أخرى.

بقولنا في أول المناجاة:

[إِلَهِي أَذْهَلَنِي عَنْ إِقَامَةِ شُكْرِكَ تَتَابُعُ طَوْلِكَ ، وَأَعْجَزَنِي عَنْ إِحْصَاءِ ثَنَائِكَ فَيْضُ فَضْلِكَ، وَشَغَلَنِي عَنْ ذِكْرِ مَحَامِدِكَ تَرَادُفُ عَوَائِدِكَ، وَأَعْيَانِي

١ – الصحيفة السجادية: ص ٣٠٥.

عَـن نَّشْـرِ عَوَارِفِـكَ تَوَالِـي أَيَادِيـكَ، وَهـذا مَقـامُ مَـنِ اعْتَـرَفَ بِسُـبُوغِ النَّعْمَـاءِ وَقَابَلَهَـا بِالتَّقْصِيـرِ، وَشَـهِدَ عَلَـى نَفْسِـهِ بِالإِهْمَـالِ وَالتَّضْيِيـعِ وَأَنْـتَ الـرَّؤُوفُ الرَّحِيـمُ الْبَـرُّ الْكَرِيـمُ].

العلامـة الثانيـة: الأعـتراف بالتقصير تجاه التعامل مع النعـم سـواء في اسـتثمارها والأنتفـاع منهـا علـى وجـه الشـكر العملي، أو علـى وجـه الشـكر القلولـي بصعوبـة عدهـا، فعظمـة النعـم توجـب لتصاغـر الشـكر مهمـا عظـم، واكرامـك يجعـل ثنائنـا واخبارنـا بذلـك متضائـل خجـلاً وحيـاءً، فنحـن الغيـر مسـتحقين تنيلنـا كل هـذه الكرامـة بيـن خلقـك تفضـلاً وكرمـاً، لا عـن استحقاق، وذلـك بقولنـا: [**إِلَهِـي تَصَاغَرَ عِنْـدَ تَعَاظُـمِ آلائِـكَ شُـكْرِي، وَتَضَـاءَلَ فِـي جَنْـبِ إِكْرَامِـكَ إِيَّـايَ ثَنَائِـي وَنَشْـرِي**].

العلامـة الثالثـة: التفـات النفـس للنعـم المعنويـة موجـب لتحقـق سـعادتها ففـي قولـه(عليه السلام):

[جَلَّلَتْنِـي نِعَمُـكَ مِـنْ أَنْـوَارِ الإِيمَـانِ حُلَـلاً، وَضَرَبَـتْ عَلَـيَّ لَطَائِـفُ بِـرِّكَ مِـنَ الْعِـزِّ كِلَـلاً، وَقَلَّدَتْنِـي مِنَنُـكَ قَلائِـدَ لاتُحَـلُّ، وَطَوَّقَتْنِـي أَطْوَاقـاً لا تُفَـلُّ ، فَـآلاؤُكَ جَمَّـةٌ ضَعُـفَ لِسَـانِي عَـنْ إِحْصَائِهَـا، وَنَعْمَـاؤُكَ كَثِيـرةٌ قَصُـرَ فَهْمِـي عَـنْ إِدْرَاكِهَـا، فَضْـلاً عَـنِ اسْـتِقْصَائِهَا، فَكَيْـفَ لِـي بِتَحْصِيـلِ الشُّـكْرِ وَشُـكْرِي إِيَّـاكَ يَفْتَقِـرُ إِلَـى شُـكْرٍ ؟ فَكُلَّمـا قُلْـتُ : لَـكَ الحَمْـدُ وَجَـبَ عَلَـيَّ لِذَلِـكَ أَنْ أَقُـولَ: لَـكَ الحَمْـدُ].

فهكـذا نفـس تعيـش هـذه الحالـة مـن استشـعار النعـم المعنويـة المتمثلـة بأنـوار الإيمـان والعـزة الالهيـة، كـم ينعكـس ذلـك علـى حيـاة صاحبهـا مـن

الراحـة و الهنـاءة والبهجـة.

بـل هـل يمكـن أن نحتمـل ولـو احتمـال واحـد أن صاحبهـا يمـر بأمـراض نفسـية كالقلـق، الاكتئـاب، أو أن يكـون شـخص تعيـس، حزيـن، مهمـوم... بـلا شـك لا يمكـن بـل سـيكون أسـعد النـاس، فهـذه النفـس تـرى إنهـا مطوقـة بالنعـم ومقلـدة بالمنـن، ولهـذا هنـاك مـن يعيـش ببـدن سـقيم أو ببـدن غيـر كامـل الأعضـاء أو مبتلـى بمـرض عضـال.

لكـن التفاتـه لهـذه النعـم تجعلـه غيـر متذمـراً أو تعيسـًا أو معترضـًا لأنـه ملتفـت الـى النعـم الدائمـة والتـي هـي الأصـل لـو نالهـا الإنسـان لـكان هنـاك فـارق كبيـر في توجهـه ونظرتـه للحيـاة.

وهـذه التفاتـة مهمـة مـن الإمـام(عليه السلام) لمراجعـة أنفسـنا اولاً هـل نحـن مـن الشـاكرين لله تعالـى وفـق هـذه العلامـات، هـل نحـن نستشـعر امتلاكنـا لهـذه النعـم، فـإن كانـت عندنـا ولسـنا سـعداء شـاكرين فهـذا يعنـي أمـا إننـا متوهميـن أو أننـا لا نملكهـا وعلينـا أن نطلبهـا مـن الله تعالـى.

العلامـة الرابعـة: إننـا نبقـى مـن أهـل الافتقـار لله تعالـى المنعـم ونطلـب منـه دوام مـا انعـم بـه علينـا وأن نكـون مـن أهـل حمـده حتـى علـى بلائـه بـل الشـاكر بالمعنـى السـابق كمـا بينـا يـرى حتـى البـلاء أحسـان ونعمـة لأنـه صـادر مـن رب رحيـم لا تنـزل منـه إلا كل رحمـة ولطـف. كمـا في ختـام قولـه(عليه السلام):

[إِلَهِـي فَكَمَـا غَذَّيْتَنَـا بِلُطْفِـكَ وَرَبَّيْتَنَـا بِصُنْعِـكَ، فَتَمِّـمْ عَلَيْنَـا سَـوَابِغَ النِّعَـمِ وَادْفَـعْ عَنَّـا مَـكَارِهَ النِّقَـمِ، وَآتِنَـا مِـنْ حُظُـوظِ الدَّارَيْـنِ أَرْفَعَهَـا وَأَجَلَّهَـا عَاجِـلاً

وَآجِلاً، وَلَكَ الحَمْدُ عَلَى حُسْنِ بَلائِكَ وَسُبُوغِ نَعْمَائِكَ، حَمْداً يُوافِقُ رِضَاكَ وَيَمْتَرِي الْعَظِيمَ مِنْ بِرِّكَ وَنَدَاكَ، يَا عَظِيمُ يَا كَرِيمُ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ].

مناجاة المطيعين للّه... سُبل إلهام الطاعة وآثارها

تبدأ هذه المناجاة[١] بقول: [**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : اَللَّهُمَّ أَلْهِمْنَا طَاعَتَكَ، وَجَنِّبْنَا مَعْصِيَتَكَ**]، إذ أن النفس البشرية كونها مخيرة جُعل فيها قابلية أن تختار بأن تلهم الى التقوى فتكون من النفوس المطيعة او تلهم للفجور فتكون من النفوس العاصية، كما قال تعالى : ﴿وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها- فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَ تَقْواها﴾(الشمس٧-٨).

وهنا الإمام(عليه السلام) يعلمنا كيف نكون من اهل الطاعة، وذلك بأن نطلب من الله تعالى أن يجعل نفوسنا من الملهمة للطاعة، وتحقق هذا الشيء ليس بلا مقدمات كلا! بل النفس تبقى مخيرة، ولو لم تكن كذلك لما اختارت التقوى على الفجور، أي لما طلبت أن تلهم الطاعات، بل إنها لو كانت من أهل الخيار الأول لما التفتت لهذا المطلب لأنها تكون غارقة في بعدها ومشغولة بفجورها.

الوقفة الاولى: بين طلب الجزاء وتحقيق الاستقامة

نقرأ في فقرات هذه المناجاة: [**وَيَسِّرْ لَنَا بُلُوغَ مَا نَتَمَنَّى مِنِ ابْتِغَاءِ رِضْوَانِكَ،**

١- الصحيفة السجادية: ص ٣٠٧.

وَأَحْلِلْنَا بُحْبُوحَةَ جِنَانِكَ]، في هذه الفقرات نعرف لماذا أهل الطاعات يطلبون الالهام لفعل المزيد منها؟ وذلك لأنهم ممن لا يريدون أجر وإلا لكتفوا بطلب عون الله تعالى مثلاً على عمل الواجبات وتجنب المحرمات لكي ينجو من العذاب وينالوا مرتبة من مراتب الخلود في الجنان، إلا أن أهل الطاعات همتهم أعلى وهي بلوغ رضوان الله تعالى، وليس الخلود في الجنة بل في بحبوحة الجنان أي في وسطها وآخرها، يعني أفضل الجنان وأجملها وأخصها.

ثم يذكر الإمام(عليه السلام) بعدها طلبات اخرى بقوله: **[وَاقْشَعْ عَنْ بَصَائِرِنَا سَحَابَ الِارْتِيَابِ، وَاكْشِفْ عَنْ قُلُوبِنَا أَغْشِيَةَ الْمِرْيَةِ وَالْحِجَابِ]**، إذ يقال في معنى الإلهام هو «إيقاع الشيء في القلب يطمئن له الصدر ويخص الله به بعض أصفيائه، لذا هي مرتبة من مراتب الوحي العام لا الخاص -الذي يخص به الرسل الأنبياء- وعرفت بأنها «هي هداية خاصة باطنية « لمعرفة مواطن أو اعمال الخير ما هي؟ أو أين هي؟ فيقصدها ويفعلها العبد، فتكتب له طاعة.

ومن هنا نفهم لماذا ركز الإمام (عليه السلام) فيما يطلبه، فكلها امور مرتبطة بتنقية وحفظ الباطن من التلوث أو الاحتجاب بالفتن والشكوك والشبهات، تلك التي عبر عنها الإمام إنها **[فَإِنَّ الشُّكُوكَ وَالظُّنُونَ لَوَاقِحُ الْفِتَنِ، وَمُكَدِّرَةٌ لِّصَفْوِ الْمَنَائِحِ وَالْمِنَنِ]**، أي توفر البيئة لنمو الفتن فتكبر في القلب فتشغله عن منائح الله تعالى ومننه التي من أهمها اللازمة لفعل الطاعات.

فالباطن النقي الصفي استقباله الإلهامات يكون أسرع وأكثر استشعار بحلاوتها، بل واشد اطمئنان من كونها الهامات الإلهية فيعتني بها ويهتم بها

ويتفاعل معها عملياً، بينما البواطن الملوثة بالشكوك والظنون ستكون مكدرة محجوبة لا ترى هذه الإلهامات كما هي، فتشك بها تارة، وتهملها ولا تصدقها تارة اخرى، فتاتي وتذهب ولا تنتفع منها ولا يترتب عليها أثر في استثمارها.

ثم قال الإمام(عليه السلام): [وَأَزْهِقِ الْبَاطِلَ عَنْ ضَمَائِرِنَا، وَأَثْبِتِ الْحَقَّ فِي سَرَائِرِنَا]، هنا نجد الإمام(عليه السلام) وضع ازهاق الباطل اي ازالته من الضمائر بينما تثبيت الحق فقد نسبه لسرائر؟

إذ أن الضمائر هي -كما يعبون- باطن الإنسان بنحو عام أي إن الباطل يصيب باطن الإنسان كله، فالإزهاق هنا يعني أن لا يضمر أو يخفي شيء من الميل أو حب الباطل في باطنه، فَيُلوث بذلك؛ فيكون حبه او عمله او ميله للحق مشوباً وليس مستقراً أو خالصاً.

أما السرائر فهي تتجاوز باطن الإنسان الى ما يفكر به وينويه ويقصده فيظهر بعد ذلك على سلوكه، فإثبات الحق هنا فيه إثبات للنية على الحق فلا يكون مقصد صاحبها من كل نية لفعل أو قول إلا فيما فيه طاعة لله تعالى.

أما علة تقديم طلب الجزاء الأخروي من الرضوان والبحبوحة في الجنان على موارد الاستقامة في عالم الدنيا، فلعل في ذلك تحفيز النفس على الترقي في سعيها في علم الدنيا فلا تقتصر على فعل الواجبات بل تعمل كل ما يجعلها من أهل الطاعات، ولعل في هذا التقديم ايضاً أن من يريد هذه المقامات الاخروية عليه ألا يغفل عن الطلبات الاتية المحققة لصفاء الباطن، المستقبل لتلك الإلهامات حتى يعمل بها ليضمن بذلك تيسير بلوغ هذه الأمنيات الأخروية

لينيله إياها تعالى.

الوقفة الثانية: التفاتة ولائية

قال الإمام(عليه السلام): [**اَللَّهُمَّ احْمِلْنَا فِي سُفُنِ نَجَاتِكَ، ...وَاجْعَلْ جِهَادَنا فِيْكَ**] إن مفتاح فهم مقصد من مقاصد هذه الفقرة هي قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾، فالمقصد من الجهاد في هذه الآية والفقرة الدعائية واحدة ألا وهي التوجه الى الله تعالى وحده، لذا قالت الفقرة التالية: [**وَأَخْلِصْ نِيَّاتِنَا فِي مُعَامَلَتِكَ، فَإِنَّا بِكَ وَلَكَ وَلا وَسِيلَةَ لَنَا إِلَيْكَ إِلّا أَنْتَ**]. والثمرة هي(**لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا**).

ونحن علمنا أن من معاني الالهام هي الهداية الخاصة، وسبل الله تعالى في هذه الآية هم مصاريف هذه الهداية وهم العترة الأطهار الذين وصفهم النبي(صلى الله عليه وآله) بأنهم سفن النجاة الالهية، كما ورد عنه(صلى الله عليه وآله): «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح(عليه السلام)، من دخلها نجا، ومن تخلف عنها غرق»[١]. والتي أوسعها واسرعها سفينة الإمام الحسين (عليه السلام) – كما هو مذكور مشهور– بالنتيجة الذي يكون من الصاعدين في هذه السفن فهو سيكون من الملهمين بفعل الطاعات والعالمين بها.

فمن ضمانات الاستقامة على فعل الطاعات بأن يكون الإنسان محمول في سفن النجاة، ولهذا هو سيكون من المتمتعين بمناجاة ربهم، المرتوين من

١– ميزان الحكمة: ج ٤، ص ٢٨٢٠، نقلا عن أمالي الطوسي: ص٣٤٩ – ٧٢١.

موارد حب الله تعالى متى ما ظمئت جوارحهم وجوانحهم، المنتعشون بحلاوة قرب الله تعالى ولطفه، كما تصف لنا هذه العبارات : **[وَمَتِّعْنَا بِلَذِيذِ مُنَاجَاتِكَ، وَأَوْرِدْنَا حِيَاضَ حُبِّكَ، وَأَذِقْنَا حَلاوَةَ وُدِّكَ وَقُرْبِكَ، وَاجْعَلْ جِهَادَنَا فِيْكَ وَهَمَّنَا فِي طَاعَتِكَ]**.

الوقفة الثالث: ماذا ينال المطيعين من مقامات

الإمام(عليه السلام) في ختام المناجاة يذكر مطلبين احدهما دنيوي وأخر أخروي ولكنهما لا يتحققان الا بأن يكون النائل لهما من أهل الإلهام للطاعات، هما:

الأول: [إِلَهِي اجْعَلْنِي مِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ]، أي نوال مقام الاخيار، والإمام(عليه السلام) عبر عنه إنه جعل إلهي مباشر اصطفائي أي خاضع للاختيار الإلهي ليس ليكون رسولاً نبي بل ليكون من الاخيار، فليس كل إنسان فيه خير أو يفعل الخير يناله، وفي ذلك اشارة لعظيم شأن هذا المقام وبنفس الوقت كاشف عن دور الطاعة في بلوغ هكذا مقامات ترفع الإنسان.

الثاني: [وأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ الأَبْرَارِ]، فاللحوق غير الجعل، فهو يتطلب سعي أكثر، وجهد يبذله الانسان الطامح لبلوغ هذه المقامات أكبر، وهذا كاشف أن ليس كل من ينال مقام الاخيار سيكون مرافقاً لمن نالوا مقال الصلحاء الابرار.

بالنتيجة فإن كل صالح بر هو من الاخيار، وليس كل الاخيار يوفقون ليلحقوا بالصالحين الابرار، لذا الإمام(عليه السلام) يبين لنا سمات من بلغوا مقام

الصلحاء الابرار، وكأن الإمام في ذات الوقت يفتح باب اللحوق لكل من نال مقام الاخيار، وذلك بقوله(عليه السلام): [**السَّابِقِينَ إِلَى الْمَكْرُمَاتِ، الْمُسَارِعِينَ إِلَى الْخَيْرَاتِ، الْعَامِلِينَ لِلْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ، السَّاعِينَ إِلَى رَفِيعِ الدَّرَجَاتِ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَبِالإِجَابَةِ جَدِيرٌ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ**] .

فميزة الصالحين إنهم سبقوا الأخيار بالمكرمات وكانوا مسارعين في الخيرات لا أنهم ذوات خيرة أو أنهم ممن يعملون الخير متى ما عرض عليهم او طلب منهم بل هم من اهل المبادرة في فعلها. وهم ممن عملهم خالص وكله زاد للاخرة لا يطلبون به شيء من متاع الدنيا، ولا يعملون لأجل النجاة من العذاب بل سعيهم وعملهم خالص لوجه الله تعالى لأنهم من طلاب رفيع الدرجات عنده جل وعلا، وكل ذلك نواله وتحقيقه هو بالاصل بتوفيق من القدير ذو الرحمة الواسعة.

الفصل الثالث

أطرق هذا الباب... حتما ستصل

[أَنْتَ الَّذِيْ فَتَحْتَ لِعِبَادِكَ بَابًا إِلَى عَفْوِكَ وَسَمَّيْتَهُ التَّوْبَةَ][١]

الإنسان بطبيعة وجوده إنه غير معصوم، يخطئ ليتعلم...يتعثر ليستقيم... يتألم ليشفى... يبتلى ليبقى على يقظة، ومن البوابات الالهية ليصل الإنسان إلى اسمى أهدافه وهي الكمال الإنساني هي «بوابة التوبة»، فهو يحتاج للولوج بمفهوم هذا الباب، باب الرجوع لمصدر القوة ليقوى، مصدر الثبات ليستقيم، مصدر النور بعد العيش بالظلمة، مصدر الهداية إذا ما عاش التيه والسير بلا هدف، فهذا القانون الالهي مفتوح أمامنا نحن البشر... كل البشر.

هذا الباب فُتح ليبعث فينا حالة من الثقة بالنفس أن هناك فرصة، هناك إمكانية وقدرة بكل فرد منا أن يكون أفضل وأقوى وأكثر استقامة، مهما تعثر وضعف ونجرف عن الصراط المستقيم.

ليتني!!

[إلهي ليتني كنت طائر لأطير من خوفك][٢]

لماذا شبه بالطائر؟

لان الطائر عادة ضمان سلامة حياته في التحليق، هو يخاف أن يفترس في الأرض إذا ما بقي عليها، لذا هو يشعر بالأمان متى ما بقي محلق في السماء،

١- الصحيفة السجادية: ص٢٩٣.

٢- الصحيفة السجادية: ص٤٩٠.

فيحب التحليق-أي لا يخاف- مع أن الارتفاع للأعلى هو بالأصل أمر مخيف!

وهكذا المؤمن يخاف من أن يخلد للأرض متمسكًا بترابيته، أو ينسجم مع أقرانه الأرضيين فيغفل عن روحه، فتتكسر اجنحته المعنوية فلا يحلق في سماء ذكر المحبوب وقربه.

أما لماذا الخوف؟ لأن الخوف من الله تعالى يجلب الأمان، كالألم الذي يصاحب شفاء الجرح النازف، فهو ألم مريح مع إنه موجع. لذا الخوف من الركون لمثل هكذا حال موجب للحركة والتحليق، وموصل لنماء الروح وتكاملها، وهذا لا يكون إلا باليقظة(الطيران/ التحليق المعنوي) أي بالعيش بذكر الله تعالى.

الإنابة... مفتاح وضوح الطريق

[يَا مَنْ سَبِيلُهُ وَاضِحٌ لِلْمُنِيبِينَ] [١]

هذه الفقرة بها مفتاح عظيم لفتح كل باب مغلق في وجودنا... وحياتنا... وقبل كل شيء والأهم هو قلوبنا، إنه مفتاح الإنابة وذلك عندما نقرر بصدق أن نعود بكلنا إليه سبحانه، أن يكون توجهنا...اقبالنا... اعمالنا إليه وحده...

عندها لن نعيش الحيرة، لن نشعر بالتيه او بضيق ، فسبيل الله تعالى واضح... واضح جدا لكن نحن من اعتدنا على أن نسير بغيره... نسير وفق ما تحب أنفسنا، وما يرضي المجتمع عنا، نعمل ما نرى أن الجميع يعمله.

١- بحار الأنوار: ج ٩١، ص ٣٩٤.

لـذا بمجـرد أن نبقـى فـرادا نـرى حجـم الضباب...والتيـه... والضيـق... يحيـط بنـا، وهـذه الفقـرة تقـول لنـا: عـودوا الـى العمـل بحـدود الله تعالـى، بالامتثـال لأوامره كلهـا، ولـو خالفتـم الجميـع، عندهـا سـترون كـم أن الطريـق بَيِيـن وواضـح.

اليقين بصدق الوعد الالهي

[اللّهُمَّ وَمَواعِيدُكَ الصَّادِقَةُ] [١]

كـم نحتـاج أن نتأمـل بهـذه العبـارة ونحـن نرددهـا في شـهر رجـب المعظـم، فهـل فعـلا نحـن نؤمـن بصـدق بمواعيـد الله تعالـى لنـا، أم هـل نحـن ممـن يعتـب علـى ربـه -ولـو في قلبـه- إن تأخـر عليـه عطـاء أو رزق او ثمـرة جهـد فقـط لأنـه يـرى إنـه قـد أخـذ بالأسـباب او بـذل جهـد مـا...

بلـى! ونعتـب لـمَ تأخـر موعـد شـيء مـا أردنـا، دون أن نلتفـت إننـا في الحقيقـة ننتظـر مواعيدنـا ومواقيتنـا التـي نحـن أو مـا يحـدده النـاس لنـا ثـم ننسـبه لمواعيـد الله تعالـى... بينمـا مواعيـد الله تعالـى كلهـا صادقـة لأنهـا تـأتي بوقتهـا، بمـا نحتاجـه، وبمـا يـراه هـو سـبحانه مناسـب لنـا.

إذن عندمـا نصـل لهـذا الاستشـعار واليقيـن نكـون ممـن يلهـج بهـذه الفقـرة وهـو متـذوق لحـلاوة كل مـا ينالـه وبـكل مـا يملكـه الان... وفي كل آن...

١- الصحيفة السجادية: ص ٢٠٠.

كي لا تَمُن ولا يُمَن عليك

[إِنْ أَلْجَأَتْنِي إِلَى قَرَابَتِي حَرَمُونِي، وَ إِنْ أَعْطَوْا أَعْطَوْا قَلِيلاً نَكِداً، وَ مَنُّوا عَلَيَّ طَوِيلاً، وَ ذَمُّوا كَثِيراً. فَبِفَضْلِكَ، اللَّهُمَّ، فَأَغْنِنِي][١]

لماذا الأقرباء هم الذين تصفهم الفقرة بأنهم يتصفون بالشحة والمنة في العطاء؟

والجواب-كما يبدوا- كونها آفة ومرض خطير متفشي والإمام ينبهنا ويلفت انتباهنا إليه بشكل صريح، كيّ نراقب سلوكياتنا نحن قبل أن نوجه الخطاب لغيرنا، أثناء العطاء لمن هم أقرب الناس لنا، وممن يكون التعامل بيننا وبينهم بشكل يومي. فلنا أن نتخيل كم مرة نؤذي غيرنا لمثل هكذا فعل، وكم مرة اكتسبنا ذنب وسجل علينا فعل لا يرتضيه تعالى في صحيفتنا، بل كم خسرنا أثر وثواب عطاء قمنا به ثم اتبعناه بمن سواء ظاهر أو خفي بتململ او تضجر.

والحل الذي يقدمه الإمام(عليه السلام)هو قول: **[اللَّهُمَّ، فَأَغْنِنِي]**، فإن كنا ممن يُمن علينا أو نحن نمن على غيرنا، المفتاح أن يجعلنا تعالى من أهل الغنى الظاهري فتستغنيّ عن عطائهم، وإن كنا ممن يَمن لنلتفت الى أن المغني الحقيقي هو الله تعالى والمعطي هو الله تعالى، فبما نمنّ فأصل ما نعطي هو من الله تعالى وملك لله تعالى.

١- الصحيفة السجادية: ص ١٠١.

على ما نفرح ؟

[لا أَفْرَحَ بِما آتَيْتَني مِنَ الدُّنْيا][١]

الإمام(عليه السلام) هنا قال: [من الدنيا] فكم هي فرحة بلا قيمة تلك التي تكون على شيء من الدنيا، وليس لأنه أوتي كل ما في الدنيا، فإذا كان متاع الدنيا كله هو قليل وفاني...! فكيف إن كان ما يُؤتى الى العبد هو من بعض هذا القليل الفاني، فكم هو ضئيل إذن؟!

أ وهل يستحق بعد ذلك أن يكون مصدر فرح العبد؟! أم على العبد أن يبحث عن مصادر الفرح الحقيقية الباقية والدائمة الأثر وذات القيمة العظيمة.

وخلاصة الفقرة هي ألا يكون مصدر فرحي هو على تحصيل شيء من أمور الدنيوية، نعم أنت يا الهي أتيتني منها ولكن لا لكي أفرح بها فرح الانشغال بها، بل فرح الاشتغال بها لأجعلها زاد للحياة الاخرى.

على ما نحزن ؟

[وَلا أَحْزَنَ عَلى ما مَنَعْتَني فيها][٢]

الإمام(عليه السلام) لم يُعبر لا تجعل حزني [لما] بل قال: [على ما] - وفي حدود فهمي - هنا الإمام(عليه السلام) يربينا على أن نكون ممن يترفع عما لم ينله من متاع هذه الدنيا، فيكون نظرنا لها من فوق لنراها على حقيقتها، وبحجمها الطبيعي

---

١ - الصحيفة السجادية: ص ٩٨.

٢ - الصحيفة السجادية: ص ٨٩.

الحقيقي الذي هو قليل وزائل.

ولذا قال الإمام(عليه السلام): [مَنَعْتَني فيها] أي تلك التي يُمَتَع بها أهل الدنيا في عالم الدنيا حصراً، التي تزول أثر ومعنى وقيمة بمجرد خروج المؤتى إليه منها من عالم الدنيا، أما تلك التي يبقى أثرها وزادها معنا في الدنيا وعند خروجنا منها في الآخرة- تلك التي يعبر عنها كتاب الله بالباقيات الصالحات- فهذه هي التي يتوجب على المؤمن أن يحزن إن لم يؤتى إياها.

اطلبوا النظرتان تغتنموا

[وَانْظُرْ إِلَيَّ وَانْظُرْ لِي فِي جَمِيعِ أُمُورِي][١]

في هذه الفقرة نلحظ إنه لم يتم طلب نظرة واحدة شاملة كاملة، بل هناك طلبٌ لنظرتين، الأولى نظر الله تعالى له كعبد كذات خلقها هو سبحانه وتعالى، ونظرته لأموره كلها. فقد ينظر الله تعالى في أمور عبده فيُحسنها لكن هو كعبد لا يكون من المنظورين بنظرة الرضا، بل يكون ممن يعطى لكن هو كذات مسخوط عليها.

ولهذا كأن الإمام(عليه السلام) يربينا بأن نطلب أن يحظى الواحد منا نظرة الرضا اولاً ثم تكون النظرة الالهية لأمورنا ثانياً، نظرة توفيق وتسديد، وتغييرها الى ما فيه صلاح حالنا.

١- الصحيفة السجادية: ص ١٠١.

طلب مسلم

[فَأَنْجِزْ لي ما وَعَدْتَني] [١]

هنا يعلمنا الإمام(عليه السلام) أن نطلب لكن ما وعد به الرب لا ما هو قد وعدنا به أنفسنا، اذ هناك إنسان يعد نفسه بأشياء فيطلبها من الله تعالى

وهناك من يطلب من الله تعالى ما وعد به هو عباده، فهنا مرحلة التسليم أرقى وإظهاره للعبودية بدرجة تكون أعلى، أي إنه يريد ما يريد معبوده، ولسان حاله ما أطلب وما عندي هو منك وبهدايتك لي يا رب.

كي لا تصاب بالإلحاد الروحي

[لا يُجيرُ يا إلهي إلاّ رَبٌّ عَلى مَرْبُوبٍ؛ وَلا يُؤْمِنُ إلاّ غالِبٌ عَلى مَغْلُوبٍ؛ وَلا يُعينُ إلاّ طالِبٌ عَلى مَطْلُوبٍ؛ وَبِيَدِكَ يا إلهي؛ جَميعُ ذلِكَ السَّبَب] [٢]

هنا وردت لفظة اعتراف العبد بالمعبود كإله ورب، وهذه لفتة عقائدية مهمة، فهناك من يؤمن بالله تعالى كإله أي إنه اله له، لكنه لا يؤمن به كرب، لان من صفات الرب إنه يأمر وينهي من يربيه، والنفس البشرية عندما تصاب بالتكبر والطغيان لا تتقبل ذلك، فتنفر من الامتثال للشريعة الالهية مثلاً، وتعيش فقط وهي مؤمنة به كإله لا مربوب ايضاً، وإقرار العبد بإيمانه بمعبوده كإله ورب هي علامة لخضوعه وصدق عبوديته وامتثاله هذا من جانب.

---

١ - الصحيفة السجادية: ص ٩٧.

٢ - الصحيفة السجادية: ص ٩٦.

ومن جانب أخر نجد إن هناك ربط بين جمال الله تعالى وجلاله أي بين ربوبيته وألوهيته، فالألوهية تشمل مفردة (الغالب، الطالب)، اما الرب فتشمل افعال(الاجارة والأمن والمعونة)، هذا ما يقع به ممن ألحدوا روحياً فهم يتفاعلون ويعتقدون بالصفات الجمالية لله تعالى، وينفون عنه الصفات الجلالية.

والإمام(عليه السلام) في هذه الفقرات يربي ارواحنا ويغذيها بالاعتقاد السليم الذي يحفظ ارواحنا من هذا الانحراف.

معارضة وعرض

[وَسَدِّدْنِي لِأَنْ أعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ][١]

المعارضة تأتي بمعنى الرفض وعدم تقبل ما يصدر من الطرف المقابل من أفعال وسلوكيات، وهنا الغش هو فعل وخلق ذميم، وهذا الموقف يوجب عصمة النفس وحفظها من هذا المرض الأخلاقي، هذا من جانب.

ومن جانب أخر المعارضة فيها إظهار لخلاف ما نحن معتبرون ورافضين له، أي إظهار النصح الذي هو خلاف الغش.

وهنا نحصل على ثمار أخرى من هذه المعارضة هي إننا سنتجنب بذلك هذا السلوك الخاطئ مع الجميع سواء من غشنا ومن لم يغشنا، كما وإن إظهار النصح الذي هو الخلق الممدوح المعارض للغش نحن بذات الوقت نعرض على الغشاش خلق النصح ونشجعه عليه بالتعامل معه به.

---

١ - الصحيفة السجادية: ص ٨٨.

ما تطلبه يطلبك

[وَأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ][١]

جزاء الهجران هو الهجران، لكن الإمام(عليه السلام) هنا لا يقول أن الجزاء هو عدم الهجران بل البر الذي هو الإنفاق مما نحب، أي أن أقبل على من هجرني والاقيه بكل حب وود كما أفعل مع أعز أعزائي، وأحب أخوتي، وأقرب صحبتي، ممن لا أفكر أصلاً بهجرهم او تركهم يوماً من الأيام إلا أن تفرقنا الاقدار.

وهذا بحق يحتاج الى نفس عالية، سامية، متعالية عن الدنيا ومواقف أهلها، باحثة عن رضا خالقها، إذ أن معالي ومكارم الأخلاق لمن يطلبها، هي تطالبه بتفعيل هذا القانون [وهل جزاء الإساءة إلا الإحسان].

باطن الحرمان عطاء

[وَأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ][٢]

الحرمان يوصف به من لم يُعطى حقه، وما سأله من المقابل، وخلافه البذل الذي هو الإعطاء الذي يأتي بعد السؤال، هنا يربي الإمام نفوسنا على أن نعطي من سألنا حقه وإن لم يكن ممن أعطانا حقوقنا عندما طلبناها.

ولان الصعب أن تعطي من منعك، أن تحسن لمن أساء بحقك، لا أن تعطي

١- الصحيفة السجادية: ص ٨٨.

٢- الصحيفة السجادية: ص ٨٨.

من أعطاك، أو أن تحسن لمن أحسن إليك، الإمام (عليه السلام)عبر بأن فعلنا هذا إنما هو إثابة وليس جزاء، فلو كان جزاء فالجزاء عادة يكون من سنخ العمل، كقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلاَّ الْإِحْسانُ﴾(الرحمن:٦٠).

بينما الإمام(عليه السلام)عبر بالمثوبة والتي هي لفظة تستخدم بشكل خاص كجزاء للعمل الحَسن ولما قُدم من خير، ومن هنا نفهم عمق عبارة الإمام(عليه السلام) أي أن الحرمان هنا ظاهره عمل سيء يوجب الجزاء بالمثل أي أن نحرمه ولا نعطيه إن جاء سائلاً، ولكن باطنه عمل خيرٍ يوجب الثواب لا العقاب، لأنه جعلنا نقاوم النفس وهواها التي تميل إلى الإحسان للمُحسن لها فقط، لذ فالنفوس ذات معالي الأخلاق تثيب من لا يُحسن لها بالعطاء والإحسان.

مكتف بالله تعالى وكافي

[وَأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِالصِّلَةِ][١]

إن للتقاطع بين الأفراد التي تربطهم مع بعض علائق نسبية أو سببية، هي لا تهدم العلاقات الاجتماعية العامة فقط، فهذا أثرها العام والأوسع، بل هي تبدأ بهدم البناء النفسي للفرد نفسه، فالذي تكون بيننا وبينه علاقة تواصل يقيننا هناك مساحة من حياة كلاً منهما كانا يشغلانها.

لذا إنقطاع تواصله يوجب حصول نقصاً في حياته وفراغاً في قلبه، وهناك شعور نفسي مؤذي يوجبه هذا الانقطاع كالشعور بأنه لا يستحق أو غير كافي

١- الصحيفة السجادية: ص ٨٨.

ليكـون علـى تواصـل مـع الأخـر، وهنـا الثقـة بالنفـس تهتـز.

لـذا الإمـام(عليه السلام) وضـع عبـارة [أكافي] أي أكفـي أمثـال هـؤلاء بالاسـتمرار بالتواصـل كـي لا يعيشـوا هـذا الشـعور، أن أشـعره بأنـه كافي ويسـتحق أن يكـون فـرد محبـوب لديـه مـن يتواصـل معـه، يذكـره، يصلـه، وهـذا الفعـل يتطلـب التخلـق بإسـم الله تعالـى الـكافي، وفي النفـس المتصلـة بـالله تعالـى الـكافي، الغيـر متعلقـة بخلقـه.

بالنتيجـة التواصـل ليـس مهـم فقـط في بنـاء علاقـات اجتماعيـة او علاقـات منافـع وتبـادل المصالـح الماديـة بـل هـو جـداً مهـم في بنـاء النفسـية للأفـراد، بنـاء ثقتهـم بأنفسـهم وإشـعارهم بقيمتهـم، وكيـف إنهـم كيـان مهـم لـه تأثيـره وأهميتـه في حيـاة مـن يتواصلـون معـه ويتواصـل معهـم.

مخالفة لكن ممدوحة

[وأُخَـالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ][١]

عـادةً تتحقـق الغيبـة بفعـل ذكـر الأخريـن في غيابهـم أي مـن خلفهـم، وكذلـك طبيعـة الذكـر يكـون إمـا خـلاف مـا هـو في الواقـع أو الذكـر بالسـوء.

هنـا الإمـام(عليه السلام) وضـع مفـردة مقابلـة لهـذا الفعـل والخلـق الذميـم مـا هـو خلافـه، فعـبرة بمفـردة [أخالـف] أي أفعـل معهـم خـلاف ذلـك وعكسـه فأحسـن بذكرهـم ولا أذكرهـم إلا بمـا يجعـل صورتهـم حَسـنة وجميلـة في قلـوب الأخريـن.

بـل ولعـل هـذا الحَسـن الـذي أذكـره خـلاف واقعهـم ولكـن ممـدوح لأنـه يقـرب

١ – الصحيفة السجادية: ص ٨٨.

القلوب ويحفظ كرامتهم وفيه ستر لمعايبهم التي أنا مطلع عليها مثلاً، ولذا هذه الفقرة لا تربينا على أن نكون من أهل الخُلق الحَسن فقط بل من أفضلهم.

وفي ذلك قطع حبل من حبال الشيطان وفتنته بين الناس، التي تفتك بالمحبة والتواد والتآلف، فلو قوبل الذكر السيء بالذكر السيء لما بقي للذكر الحسن محل، ولما نما الخير في النفوس قط.

اناجيك يا سامعي...

[أُنَاجِيكَ يَا مَوْجُودُ فِي كُلِّ مَكَانٍ لَعَلَّكَ تَسْمَعُ نِدَائِي، فَقَدْ عَظُمَ جُرْمِي وَقَلَّ حَيائِي][١]

إن عبارة(لعلك) ليست ترددية او إنها أظهار للشك وإنما للدلالة على القطع بأنك سبحانك حاشاك ألا تسمعني فأنت السميع، فقد اعترفت في حظرتك في أول مناجاتي بأنك موجود في كل مكان، فكيف لا تسمع صوت عبد مثلي؟

ولكن هذا التردد [بلعل] فيّ، أي فلعل ربي لتحقق الاجرام والظلم في إعلانيّ، لقلة الحياء منك في إسراري، قد حجب صوتي عنكَ.

لذا ها أنا ذا أناجيك فلعل اعترافي هذا يوجب لي فضلك لرفع احتجاب صوتي عن مسامعك سيدي فأغفر لي جرمي وقويّ حيائي لأكون عبداً مطيعاً، ونجواه في حضرتك مسموعاً.

١- بحار الأنوار: ج ٨٤، ص ٢٨٨.

نِعمٌ بلا أثمان

[وَيَا مَنْ لا يَبِيْعُ نِعَمَهُ بالأَثْمَانِ][١]

أجمل ما في الطلب من الله تعالى أننا نطلب ونحن نعلم أننا نتعامل مع غني، كريم، جواد، فهذه الفقرة تبين أن نِعَم الله تعالى بلا أثمان أي لا توجد هناك -كما يعبرون- صفقات تجارية فهو سبحانه يُنعم علينا دون أن نطلب، والاهم دون أن ينتظر منا مقابل.

هو عز وجل يتفضل علينا دون أن نحسب أن علينا رد الفضل والعطاء والجميل لأنه الله تعالى الذي لا أثمان لأنعمه بل بلطفه إنه يقبل منا فقط أن نقول له: شكرا يا رب فيحفظها من الزوال ويزيدها، فهو تعالى القائل: ﴿وَلَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

١- الصحيفة السجادية: ص ٦٠.

المصادر والمراجع

- لقرآن الكريم
- الصحيفة الجامعة الأدعية الإمام السجاد، زين العابدين، بإشراف: سماحة السيد محمد باقر الأبطحي الأصفهاني، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام.، الطبعة: الأولى ٢٥ / محرم الحرام / ١٤١١ هـ. ق.
- الصحيفة السجادية الكاملة، تقديم سماحة الإمام السيد محمد باقر الصدر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الاولى ١٤٣١- ٢٠١٠.
- الأمالي، الشيخ الصدوق، تحقيق قسم الدراسات الاسلامية- مؤسسة البعثة- قم، الطبعة الأولى، سنة الطباعة: ١٤١٧هجري.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار، تأليف العلامة الحجة الشيخ محمد باقر المجلسي « قدس الله سره «، دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان.
- تحف العقول، تأليف محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني عنى بتصحيحه والتعليق عليه علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية ١٣٦٣ - ش ١٤٠٤ - ق مؤسسة النشر الاسلامي (التابعة) لجماعة المدرسين بقم المشرفة (إيران)، المكتبة الشيعية الالكترونية.
- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد بتحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، المكتبة الشيعية الالكترونية.

- شبكة المعارف الاسلامية الالكترونية- مقالات رابط الموقع:
(https://www.almaaref.org/)
- شرح دعاء الافتتاح بعنوان الحبل المتين، الشيخ بناهيان، حلقات متلفزة في شهر رمضان/ ١٤٤٢هجري.
- الدعاء وهندسة الميول- السيد محمد الهاشمي، محاضرات شهر رمضان/ ١٤٤٣هجري.
- نهج البلاغة، خطب الإمام علي (عليه السلام) تحقيق وشرح الشيخ محمد عبده، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش.
- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، تحقيق: دار الحديث، الطبعة: الأولى، مكتبة الشيعة الالكترونية.
- موقع معجم المعاني قاموس عربي عربي.-
(https://www.almaany.com/ar/apps/).

فهرس

الإهداء ٥
مقدمة ٧
الفصل الأول **٩**
دعاؤه (عليه السلام) إذا ابتدأ بالدعاء بدأ بالتحميد لله ١١
عز وجل والثناء عليه ١١
الأثر الأول: مقياس لوصولنا لمرتبة الإنسانية ١٣
الأثر الثاني: دوره في سيرنا ومسيرتنا الى الله تعالى ١٥
الأثر الثالث: الجزاء ورفع المقام والدرجات في الاخرة ١٧
في دعائه (عليه السلام) لمن احزنه أمر وهمته الخطايا ٢٠
الوقفة الأولى: لماذا ذُكر الخوف مع أن الدعاء لعلاج الحزن؟ ٢١
الوقفة الثانية: علامات الخوف الشافي لأحزان العبد وخطاياه ٢٣
الوقفة الثالثة: مقومات رفع الحزن المذموم ومسببات الهموم ٢٥
الوقفة الرابعة: علامات التحول ومنطلق التغير ٢٧
الوقفة الخامسة: هباتٌ للثبات ٣٠
في دعائه (عليه السلام) في الشدة والجهد وتعسر الامور ٣٢
الوقفة الأولى: مفردات ثلاث والهيات ثلاث ٣٣
المفردة الاولى: الشدة في الامور ٣٣

المفردة الثانية: الجهد بالأمور ٣٤
المفردة الثالثة: التعسر في الأمور ٣٥
الوقفة الثانية: عطايا وعلامات ٣٧
الوقفة الثالثة: العسر موجبات العسر واثاره بمنظور أوسع ٣٨
الوقفة الرابعة: ارزاق خمسة لتخطي الشدة والجهد والعسر ٣٩
من دعائه (عليه السلام) في الرضا إذا نظر الى أصحاب الدنيا ٤٩
الوقفة الأولى: تقسيم المعايش ٥٠
الوقفة الثانية: بين فتنتين ٥١
الوقفة الثالثة: خماسية الرضا بقضاء الله تعالى ٥٢
في دعائه (عليه السلام) بعد الفراغ من صلاة الليل لنفسه في الاعتراف بالذنب ٥٨
الوقفة الأولى: النار بأصنافها الخمس ٥٨
الوقفة الثانية: عبدٌ بين مقامين ٦٣
الأول: مقام العائذ ٦٣
الثاني: مقام الاستحياء والسخط والرضا ٦٥
في دعائه (عليه السلام) في الالحاح بالدعاء ٦٩
مقدمة: هل الالحاح بالدعاء ينافي الإيمان بسرعة اجابة الله لنا؟ ٦٩
الوقفة الاولى: اعترافات على هيئة تساؤلات واجوبة ٧١
الوقفة الثانية: الملحين بالدعاء بين تنزيهين؟ ٧٤
الوقفة الثالثة: تساؤلات الملحين ما هي؟ ٧٦

في دعائه (عليه السلام) إذا استقلت به الذنوب ٨٠
مقدمة: من علاماتِ قبولِ التائبين ٨٠
من دعائه(عليه السلام) في طلب مكارم الأخلاق ٨٢
التقوى هي الترياق المجرب ٨٢
على مائدة دعاء السحر أبي حمزة الثمالي..... ٨٥
دعاؤه(عليه السلام) لخواتيم الخير ٩٣
الوقفة الأولى: مفاتيح الاشتغال الى خير ختام..... ٩٥
الوقفة الثانية: طلب المحتاط... ..... ٩٦
الوقفة الثالثة: وجوه مخاطر الفراغ بلا سلامة ٩٨
الفصل الثاني: ١٠١
مناجاة التائبين.. بوابة إحياء القلوب ١٠٣
مناجاة الشاكين.. الشكوى بمنظوره الإيجابي ١٠٥
بماذا تنفعنا الشكاية لله تعالى؟..... ١٠٥
النفس ومركزية تأثيرها ١٠٦
أما كيفَ ذلك عملياً؟..... ١٠٨
مناجاة الخائفين... ما هو الخوف الممدوح؟ ١١٠
مناجاة المعتصمين... عصمة لقلوب المؤمنين..... ١١٣
مناجاة الذاكرين...تبين لنا علامات الذاكرين ١١٩
مناجاة الشاكرين... تبين لنا علامات الشاكرين..... ١٢٣

مناجاة المطيعين لله... سُبل إلهام الطاعة وآثارها ١٢٦
الفصل الثالث **١٣٣**
أطرق هذا الباب... حتما ستصل ١٣٥
ليتني!! ١٣٥
الإنابة... مفتاح وضوح الطريق..... ١٣٦
اليقين بصدق الوعد الالهي ١٣٧
على ما نفرح ؟ ١٣٩
على ما نحزن ؟ ١٣٩
اطلبوا النظرتان تغتنموا..... ١٤٠
طلب مسلم ١٤١
كي لا تصاب بالإلحاد الروحي..... ١٤١
معارضة وعرض ١٤٢
ما تطلبه يطلبك ١٤٣
باطن الحرمان عطاء..... ١٤٣
مكتف بالله تعالى وكافي ١٤٤
مخالفة لكن ممدوحة ١٤٥
اناجيك يا سامعي... ..... ١٤٦
نِعمٌ بلا أثمان ١٤٧
المصادر والمراجع..... ١٤٩